

الدكتور

أسعد وفيفي الفاعم

حَمِيمَةٌ

الْمُسْلِمُ الْأَيْمَنِيُّ شَهِيدُهُ

من كتب صحاح السنة

مؤسسة الغدير
بيروت - لبنان

**حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الخامسة
١٤٢٠ - ١٩٩٩ م**

حَقِيقَةٌ
الشِّيَعَةُ الْإِثْنَيْ عَشْرُونَ
من صحاح السنة

بحث حول الشيعة الإثنى عشرية
من كتب صحاح أهل السنة

الدكتور
السُّفْرَ وَهُبَيْدُ الْفَاعِمُ

مؤسسة الغدير
بيروت - لبنان

المؤلف

باحث عن الحقيقة، جاحد في سبيل الوصول إليها جهاداً مريضاً حتى هداه الله إلى سواء السبيل ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدى نهم سُبُلنا﴾.

ولد في قرية دير الغصون في الضفة الغربية بفلسطين المحتلة. أنهى دراسته الثانوية ثم سافر إلى الأردن فحصل على دبلوم في المهن الهندسية. ثم سافر إلى الفلبين فحصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية ثم الماجستير في إدارة الإنشاءات Construction Management .

وهو الآن حاصل على شهادة الدكتوراه في الإدارة الحكومية من خلال بحثه Islamic Public Administration .

إِلَيْكُمْ بِحِسْبٍ عَنِ الْحَقِيقَةِ ...
أَعْرِيَ هَذَا الْكِتَابَ

المقدمة

تشهد الساحة الإسلامية هذه الأيام محاولات كثيرة لإثارة الفتنة وإيجاد الشقاق بين الطوائف الإسلامية وتاليل بعضها على بعض ، وتشهد حملة مركزية على الشيعة الإمامية الإثنى عشرية بتناول عقائدهم الإسلامية والهجوم عليها دونما أدب أو رحمة ، وقد أغرت الساحة الإسلامية بملايين النسخ من الكتب التي تعطن في معتقدات هذه الطائفة والتي لا يخفى على أحد أن أكثرها تؤلف بياياعز من الوهابية وتمويل منهم متسلرين بثياب الدفاع عن أهل السنة والجماعة . وما حملُتُهم الشعواء هذه إلا لتحقيق أهداف أسيادهم الذين يسعون إلى ضرب المسلمين بعضهم البعض ، والذين يرمون مذهب التشيع بالكفر والشرك والمجوسية والإرتداد ، وغير ذلك من التهم والإفتراءات .

ولم تكن كتابتنا لهذه السطور إلا لإلقاء الملا على حقيقة هذه الطائفة المفترى عليها والتي تنبغ عقائدها وأراؤها الفقهية من صميم الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة ، وسترى ضمن صفحات هذا البحث الأدلة والبراهين المؤيدة لذلك من القرآن الكريم وكتب صحاح الحديث عند أهل السنة لا سيما البخاري منها والذي اعتبروه بعد كتاب الله في مرتبة الصحة .

وما كاتب هذه السطور إلا واحدٌ من الكثيرين الذين آسَبْصروا بالحق وأتبّعوه ، بعد أن عرضت الفتنة نفسها عليه ، فأبى أن يتورّط بشباكتها إلا بعد البحث والتقصي كما أمر الله تعالى : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تَصْبِيُوا

قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ٤ .

وكانت البداية عندما حصلت على بعض الكتب لِإحسان إلهي ظهير وموسى الموسوي وغيرهم من الكتاب الذين يزعمون أن الشيعة كفار ولا يؤمنون بسنة النبي (ص) ، وأن لهم قرآن آخر ، وينسبونهم إلى أصول ليست من الإسلام في شيء . ولم أكن في البداية لألقي بالاً لكل تلك الأقاويل ، وذلك لعلمي المسبق بمصدر تلك الكتب المسمومة والتي ليس هدفها إلا إثارة الفتنة والشقاوة ، فضلاً عن شدة المبالغة والتهويل فيها والتي لم يكن من السهولة التصديق بها ، خصوصاً أنه لم يكن ليتطرق إلى الشك قبل ذلك بأن الشيعة مسلمون مثل غيرهم من أهل السنة وذلك بالرغم من علمي بوجود بعض الاختلافات التي لا تناسب مع كل تلك الصورة من التشكيك والتكفير .

ولكن لعدم علمي بحقيقة عقائد الشيعة على وجه التفصيل ، فإن قناعاتي السابقة لم تكن تصمد أمام كل تلك الموجة الهائلة من التشكيك والتي كان يقوم بها أناس وقعوا ضحية لبعض الكتب المسمومة بعد أن صدقوا كل ما فيها من غير تمحيص ولا حتى محاولة معرفة رأي الشيعة في ذلك ، وكأن مؤلفي تلك الكتب من المعصومين الذين لا يجوز التفكير في أقوالهم أو مناقشتها أو محاولة التأكد من مدى صحتها . وللأسف فإن من هؤلاء الضحايا من هو حسن النية ولا يغري بحملته ضد الشيعة سوى الدفاع عن عقيدة الإسلام الصحيحة ، كما يراها هو .

ولكنه التعصب الأعمى الممقوت والجهل الذي لا يقبل عذرًا بعد توفر سبل البحث والتحصي ، فالمؤمن كيس فطن ، ولا يصدق كل ما يسمع ويقرأ ، وهناك وعاظ السلاطين وعلماء السوء ، الأمر الذي يلزمنا بأخذ الحيطة والحذر في أجواء ملبدة بغيمون الفتن ومظلمة بسواتها .

وأمام كل هذه العوامل ، وجدت نفسي مدفوعاً إلى البحث والتحصي لمعرفة حقيقة هؤلاء الشيعة . وقد أطلعت على آراء الفريقيين وحججهم بموضوعية ونزاهة تامة ، آبعتها بها عن التعصب المذهبي الأعمى الذي لا

يغنى من الحق شيئاً ، خصوصاً أنَّ بحث مسائل الخلاف بين السنة والشيعة يعتبر من البحوث التي هي ضمن حدود دائرة الإسلام بأدلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

وها أنا أقدم خلاصة بحثي إلى القارئ العزيز ، الذي أدعوه إلى أن يفكِّر في ما يقرؤه ، خصوصاً أنَّ اعتمادنا جُلُّه في هذا البحث إنما كان على أحاديث من صحاح أهل السنة لا سيما صحيح البخاري منها ، الذي اعتبروا كل أحاديثه صحيحة لا يتطرق إليها الشك ولا يمكن الطعن في رواتها^(*) ، حتى أصبحت مكانة صحيح البخاري عندهم نلي كتاب الله تعالى .

وفي هذا البحث ، نستعرض أهم النقاط المختلفة عليها بين السنة والشيعة مثل الإمامية وموقف الشيعة من الصحابة والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالإضافة إلى بعض الموضوعات التي يُسْهِر بها على الشيعة كالزرواج المؤقت والتقبيل . . . بأدلة وبراهين من كتاب الله الكريم وكتاب صحاح الحديث عند أهل السنة وهنا نشير إلى قاعدة قد اعتمدنا عليها في بحثنا ونعتقد أنها الأسلم في الوصول إلى الحقيقة . وهي أننا حرصنا على أن يكون رائداً في الاستدلال كل ما ينسجم مع مفاهيم الكتاب العزيز ، وما كان سليم المقدمات . لأننا قد نعتمد أدلة تتراءى لنا كونها صحيحة ولكن دون نظر على مقدماتها العقلية التي ربما كانت لا تسجم مع مُؤْدِي الدليل .

وهو الأمر الذي أوقع العديدين في أسار التخطيط في التعرف على الحقيقة . ونأى بهم بعيداً عنها .

فالذى يعتمد على مقدمة أن جميع الصحابة هم من الذين لا تعلوهم مشارط الجرح والتعديل مثلاً . يمكن أن يقبل جملة من الأباطيل كحقائق ،

* راجع مجلة المجتمع الكويتية الصادرة عن جمعية الإصلاح الاجتماعي العدد ٩٢٠ الصادر في ١٣ يونيو ٨٩ ، حيث تجد كيف كانت شدة الرد على فضيلة الشيخ محمد الغزالى - وهو من أكبر علماء أهل السنة المعاصرین - بسبب تشكيكه بصحة بعض الأحاديث المروية في صحيح البخاري . وانظر ص ١١٤ من هذا البحث فتجد إحدى الروايات - قصة ملك المورت مع سيدنا موسى (ع) - والتي شكك فضيلته في صحتها .

نتيجة لسلوك بعض الصحابة الذي لا ينسجم مع مبنيات الكتاب العزيز والسنة
الشريفة . . .

ثم لا بد في هذا المقام من توضيح أمر مهم ، هو أن دليل الشيعة في ما هم عليه هو مما توادر من أحاديث رسول الله (ص) والمروية عن طريق أئمة أهل البيت الإثني عشر ، والموجدة في كتب الحديث عندهم مثل كتاب الكافي والإستبصار ، والتهذيب وغيرها ، ولكنهم لا يستشهدون بها على مخالفتهم ، ذلك أن الحديث المروي الذي يؤخذ دليلاً وحججاً على الفريقين المتنازعين هو ذلك الحديث الذي يوجد في كتبهما كليهما - وقد اعتبراه صحيحـاً - لا عند أحدهما دون الآخر . هذا بالإضافة إلى أن استشهاد الشيعة بأحاديث من كتب صحاح أهل السنة لا يعني بأي حالٍ من الأحوال إيمانهم بصحة كل ما رُوي فيها ، وإنما لإقامة الحجة والدليل على مخالفتهم بما جاء عن طريقهم والزامهم بما ألزموا به أنفسهم ، وهذا هو عين العدل والإنصاف عند أصحاب المنهج والعدل .

و حول منهج التفكير السليم أو البحث العلمي الصحيح ، رأينا أن نعرض مقتطفات من مقالة للدكتور محمد الرميحي - رئيس تحرير مجلة العربي الكويتية - تحت عنوان « هل نحتاج إلى أن نتعلم كيف نفكـر ؟ » لما فيها من فائدة رأيناها في تبصير القارئ العزيز بأسس التفكير العلمي السليم ومبادئه لعلها تكون مساعدةً له في قراءته لهذا البحث :

هل نحتاج إلى أن نتعلم كيف نفكـر ؟

إحدى القضايا التي باتت ملحة على العقل العربي المعاصر قضية التفكير السليم ، أو التفكير العلمي - إن شئنا الدقة - وهي قضية مطروحة على أنظمتنا التربوية ، وعلى مجتمعاتنا بشكل أوسع ، وبدون إيجاد مسالك معقولة باتجاه فهم هذه القضية ، سنظل نسمع ونقرأ ونقول أموراً ما أنزل الله بها من سلطان ، تبدو جميلة في مظهرها ، ضارة كل الضرر بمجتمعنا العربي حاضره ومستقبله . وأولى خطوات التفكير السليم هي عدم التسليم بكل ما يقال ويكتب

وأخذه على علاته ، إن لم يكن له سند عقلي ظاهر ، فالإنسان كائن حي عرضة للعثرات ، يصيب ويخطيء ، وليس بالضرورة أن كل ما يقوله نهائي وقطعي ، كما أن القول بأن الرأي القديم وحده صحيح ، لأن المتقدمين قد قالوا به ، لا يعني القطع بصوابه ، فالرأي القديم حول ظاهرة من الظواهر ، قد قاله جيل عاش في وقت لم تكن البشرية قد اكتسبت فيه من الخبرة ما لديها الآن ، وبالقياس : فالأجيال القادمة سوف تتوافر لها خبرات أكبر وأوسع مما لدينا اليوم ، لأن العلم والخبرة حصاد متراكم ، وليس بدايات تتجدد كل يوم وفق أهواء بعضنا أو قصور إدراكهم .

إن الزبد الذي يتطاير حولنا بكثافة ، يهددنا بالبقاء أسرى للتخلف ، غارقين في معارك بلا هدف ، نقاتل طواحين هواء ، ونخلق لأنفسنا مشكلات عبئية ، ونطاطحن بالإختلاف حولها دون التفكير فيها تفكيراً علمياً ، وهو سمة العصر وعنوان البقاء^(١) .

حسن الظن المطلق بالعلماء السابقين كثيراً ما يقود الباحث إلى الضلال
والشاهد أن مظاهر التفكير الأعوج قد كثرت بين ظهرانينا ، فأفتى من لا يملك الحد الأدنى من مقومات الإفتاء في السياسة والدين والثقافة والإقتصاد ، واحتفلنا (بمجتهدين) غاية علمهم نتف شاردة من بعض كتابات السلف والخلف ، هم نقلة في أفضل الأحوال ، مرددين ما سمعوا ، أو قرؤا في زمن وظروف مختلفة أشد الإختلاف عن ظروفنا وواقعنا ، وهم في كل الأحوال - اجتهاداً أو نقاًلاً - لا يلمون بكل ما كتب أو قيل في ما يتعرضون له بالإفتاء من أمور الدنيا والدين .

ولقد كان من جراء تعاظم ظاهرة الإفتاء بغير علم في أمور كثيرة أن زادت حيرة الناس في قضيائهم الأساسية ، قضيaya دينهم وقضيaya دنياه .

صحيح أن العلوم الإجتماعية الحديثة تقول لنا : إنه لا توجد قراءة محابية للنص ، فأنت حين تقرأ نصاً ما ، فإنما تقرأ بخلفيتك العلمية والسياسية

(١) مجلة العربي العدد ٣٧٢ نوفمبر ١٩٨٩ .

والثقافية . . . الخ ، ولكن من الصحيح أيضاً أن هناك نصوصاً تحتمل الإختلاف الجزئي ، وأن هناك نصوصاً (تصدم) العقل لأول وهلة .

و قبل أن نخوض في فضول هذا البحث الذي سيجد فيه القارئ حفائق مثيرة وأدلة دامغة ، من المفيد أن نعرض بعضاً قليلاً من أقوال علماء أهل السنة التي تثبت وتقر بإسلام أهل الشيعة والتي توضح بلا أدنى شك كذب أقوال الذين يكفرون بهم ويرمونهم بكثير من غير ذلك بما ليس فيهم :

فهذا الإمام الشهيد حسن البنا كان أحد أعضاء جماعة التقريب بين طائفتي السنة والشيعة . . وفيه يقول الأستاذ سالم البهنساوي : « منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة . . . »^(٢) .

وهذا العلامة الشيخ محمد الغزالى يقول : « . . . فإن الفريقين يقيمان صلتهمما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله ، ويتفقان اتفاقاً مطلقاً على الأصول الجامعة في هذا الدين . . . »^(٣) ، ويقول فضيلته أيضاً : « إن كل ما بقي في عصرنا هذا من خلاف هو الفجوة التي أفتَعلَتْ افتِعالاً بين السنة والشيعة !! وهي فجوة يعمل الإستعمار على توسيعها وعلى الأقل يستبقيها لتكون قطعة دائمة بين الفريقين ثم ينفذ من خلالها إلى أغراضه . . . »^(٤) .

وهذا الأستاذ أنور الجندي يقول : (والحق أنَّ الخلاف بين السنة والشيعة لا يزيد على أن يكون خلافاً بين المذاهب الأربع)^(٥) .

ويقول الشيخ حسن أيوب في سياق وصفه للشيعة الإمامية الإثنى عشرية : « . . . ولعلها أبعد الفرق الإمامية عموماً عن الإتصاف بالغلو وأقربها إلى التعقل . . . »

(٢) كتاب « السنة المفترى عليها » ص ٥٧ .

(٣) كتاب « كيف نفهم الإسلام » ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة » .

(٥) كتاب « الإسلام وحركة التاريخ » ص ٤٢١ .

في أمور دينها ، ومن أقرب فرق الشيعة عامة إلى جمهور أهل السنة ... ،
دينهم التوحيد الممحض بالنسبة لصفات الله ، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة
للمخلوقين ... ^(٦) .

وهذا شيخ الأزهر محمود شلتوت يفتى بجواز التعبد على المذهب
الشيعي الإثني عشرى ،

ومن أراد المزيد من أقوال علماء أهل السنة التي تشهد بسلامة عقيدة
الشيعة ، فليراجع كتاب « السنة والشيعة ضجة مفتعلة » أو كتاب « آراء علماء
المسلمين في الشيعة والثورة الإسلامية » لصاحبها الدكتور عز الدين إبراهيم .

فإذا كان علماء أجيالاً مثل البنا وكشك والمودودي وأنور الجندي والغزالى
وحوى ، وحسن أيوب ، وفتحى يكن والتلمسانى وأبو زهرة وشلتوت - وغيرهم
الكثير مما لا يتسع المجال لذكرهم - يرون بأنَّ الشيعة مسلمون موحدون ، فهل
من المنطق والعقل أن تترك أقوالهم ويلتفت إلى أقوال ظهير والخطيب
والجزائري والغريب وغيرهم من الكتاب الذين يكفرون الشيعة ، والذين لم
يسمع بهم أحد إلا من خلال كتبهم المسمومة تلك ! ؟ فأين هم من أولئك
العلماء الأعلام الذين أفتوا بحسن إسلام الشيعة ؟ وما موسى الموسوي
الذى يستشهد البعض بكتاب ضعيف له ويعتبرونه أساساً لحكمهم
على الشيعة إلا أحد عناصر الفساد والسوء المرتزقة حيث جنده أعداء الإسلام
بعد نجاح الثورة الإسلامية ليقوم بتمثيلية قدرة أليسرو فىها عمامة العلماء الشيعة
ليطعن في معتقداتهم باسم التشيع ، بعد أن ملئت جيوبه بما سُتصلى بها جبهته
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وسيعلم الذين ظلموا أي
متقلب ينقلبون .

(٦) كتاب « تبسيط العقائد الإسلامية » ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ طبعة ١٩٨٠ .

تمهيد

مَنْ هُمُ الشِّيَعَةُ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ؟

نعرض في بداية هذا البحث ما هو المقصود بكلمة الشيعة؟ وكيف نشا وانتشر التشيع؟

نجد في معاجم اللغة أن كلمة الشيعة تأتي بمعنى «الأتباع والأنصار»، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وبنية حتى صار خاصاً بهم «، وأول من وضع بذرة التشيع في حديقة الإسلام هو صاحب الرسالة محمد (ص) ، وهو أول من أطلق اسم الشيعة على أتباع أهل البيت كما يروي ذلك السيوطي في تفسيره «الدر المنشور» للآلية الكريمة : «أولئك هم خير البرية» قال : أخرج ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال : كنا عند النبي (ص) فاقبل علينا ، فقال النبي (ص) : «والذي نفس بيده إن هذا وشيته هم الفائزون يوم القيمة ، وفيه نزلت : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»^(٧) .

إذن فرسول الله (ص) دعا إلى هذا المنهج وجعل لأهل البيت أولياء وشيعة، وستجد الأدلة على ذلك في الفصل الأول من هذا البحث حيث ثبت وصية الرسول (ص) لأهل بيته بالإمامية على الأمة من بعده ابتداء بالإمام

(٧) الدر المنشور للسيوطى ، الصواعق المحرقة لابن حجر .

علي بن أبي طالب وانتهاءً بالإمام المهدي الذي سيظهر في آخر الزمان ليملأ الدنيا بالقسط والعدل كما ملئت بالظلم والجور .

ولما آرتحل النبي من الدار الدنيا ، رأى جمع من الصحابة أن لا تكون الخلافة لعلي ، وقد عَبَر الإمام علي عن اعترافه على ذلك بخلافه عن مبايعة أبي بكر لمدة ستة أشهر كما روى ذلك البخاري في صحيحه والذي سيأتي تفصيله في الفصل الأول بإذن الله ، وتنمنع معه عن البيعة جماعة من عيون الصحابة أمثال الزبير وعمار وسلمان وأبو ذر وغيرهم ، ثم لما رأى الإمام علي أن تخلفه يوجب كسرًا في الإسلام لا يُجبر - وكلنا يعلم أن علياً ما كان يطلب الخلافة رغبة في الأمارة ولا حرصاً على الملك والغلبة - سالم وأغضى عمairyah حقاله محافظة على الإسلام من التصدع وتفرق الكلمة . وبقي شيعته منضوين تحت لوائه ، ولم يكن للشيعة والتشيع مجال للظهور في عهد الخلفاء الأوائل لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القوية ، وعندما بُويع للإمام علي ، امتنع معاوية عن البيعة له وحاربه في موقعة صفين . وقد سبقته في ذلك أم المؤمنين عائشة (رض) بل وخرجت على رأس جيش تحارب الإمام علياً في ماء عرف بموقعة الجمل . وقد انضم لعلي في صفين معظم من تبقى من الصحابة حتى قُتل أكثرهم تحت رايته ، كعمار بن ياسر ، وخزيمة ذي الشهادتين وأبي أيوب الأنباري وغيرهم .

وبعد استباب الأمر لمعاوية وانقضاء دور الخلفاء الراشدين ، سار معاوية سيرة الجبارية في المسلمين وأستبد عليهم ، وتنقلب على الأمة قهراً عليها بأخذ البيعة لابنه يزيد ، وخالف النصوص الإلهية الواضحة كما في استلحاقه زياذاً بأبيه ، وتوسعه بالموائد واللوان الطعام الآنيقة وبناء القصور الفخمة وغير ذلك من الترف واللهو ، وكل ذلك من أموال الأمة وفيه المسلمين ، هذا كله والناس قريباً عهد بالنبي (ص) والخلفاء الراشدين وما كانوا عليه من التعافي عن زخارف الدنيا وشهواتها . ثم أنهى الأمر به إلى أن دسّ السم للحسن بن علي ، فقتله بعد أن نقض كل عهد وشرط عاهد الله عليه ، ثم أخذ البيعة لولده يزيد قهراً وحاله معلوم عند الأمة - بلا خلاف - ، فقد عرفه المسلمون رجل دنيا لا علاقة له بالدين . . . حتى كانت ثورة الحسين في كربلاء واستشهاده مع اثنين وسبعين

من آله وأصحابه بعد رفضه إعطاء البيعة ليزيد . وهكذا كانت سيرة بقية حكام
بني أمية وبني العباس في اضطهادهم لأهل البيت .

وكان اضطهاد آل البيت طول تلك الفترات ، وما تعرضوا له من قتل وسجن وتعذيب ، بالإضافة إلى سيرة أبناء علي وآل البيت النبوى عموماً ومقارنتها مع سيرة الملوك الأمويين والعباسيين ، سبباً في انتشار التشيع الذي هو إسلاميٌّ محمديٌّ لا غير ، وليس كما أشاع بعض السخفاء الذين كانوا يرددون ما كان ينشره ملوك بني أمية وبني العباس من أن التشيع نزعة فارسية سبئية أو غير ذلك من الترهات التي سرعان ما ستتلاشى أمام عيني من يطالع المعتقدات ولو بقليل من التجدد .

وفي الفترة الأولى من عصر بنى العباس تمكن الإمام جعفر الصادق وهو السادس أئمة أهل البيت - بسبب سياساته الحكيمة في التعامل مع الحكماء والناس ، ويسبب انشغال رجال السلطة بتبني سلطتهم - من أن يبت الأحكام وينشر الأحاديث التي استقاها من عين صافية من أبيه محمد الباقر عن جده علي بن الحسين عن الحسين سيد الشهداء عن علي عن رسول الله (ص) ، وظهرت الشيعة في ذلك العصر بشكل لم يسبق له مثيل ، وكان ازدهار مدرسة جعفر الصادق في ذلك العصر وشهرته سبباً في إطلاق اسم المذهب الجعفري على المنهج الذي تدين به الشيعة الإمامية الإثنى عشرية على مر العصور وإلى يومنا هذا ، والذي لم يكن سوى مذهب محمد (ص) وهو دين الإسلام الأصيل .

وكان من تلاميذه جعفر الصادق الكثيرون من أعلام الأمة ، كالحسن البصري وأبي حنيفة النعمان الذي قال مقولته المشهورة « لولا الستان لهلك النعمان » مشيراً إلى الستينيين اللذين قضاهما تلميذاً في حلقة الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو الملقب (بالصادق) . وقد قُتل أبو حنيفة مسموماً في سجن أبي جعفر المنصور بسبب مواليه لأهل البيت ومعارضته للمنصور ، ولأنه رفض تسلّم منصب القضاء عنده - وراجع ما شئت من كتب التاريخ في ذلك - حتى أن المنصور منعه من الفتوى وهو في

السجن . وأما الذي نشر ما عُرف بالمذهب الحنفي فهو القاضي أبو يوسف الذي كان تلميذاً لأبي حنيفة وقد ولأه هارون الرشيد القضاء الأمر الذي ساعده على نشر ذلك المذهب .

ومن المعروف تاريخياً أن المذاهب الأربعة قد تفرّعت عن الإمام جعفر الصادق ، فالإمام مالك أخذ علومه عن كتب أبي حنيفة - الذي تتلمذ لستين عند الإمام جعفر الصادق كما بينا أعلاه - ، ثم أخذ الشافعي عن مالك ، ثم تتلمذ أحمد بن حنبل على يد الشافعي ، فما وُجد في كتب المذاهب الأربعة موافقاً للمذهب الجعفري فهو عن جعفر بن محمد الصادق ، وما كان مخالفًا فهو اجتهاد منهم .

إن الشيعة « الإمامية » « الجعفريه » « الإثنى عشرية » هي الطائفة التي ندرأ عنها الشبهة ، حيث أنه اندرج تحت اسم الشيعة طوائف كثيرة ليست من الشيعة وليس الشيعة منها ، وليست من الإسلام في شيء ، فالشيعة تبرأ منها براءة الذئب من دم يوسف ، مثل بعض الطوائف التي تقول باللوهية علي بن أبي طالب ، مدعين أن جزءاً إلهياً حلَّ في علي واتحد بجسده ، وبعضها التي تقول بأن الأنبياء ثم زعمت أنهم آلة ، وما إن وقف الإمام الصادق على اعتقادهم الفاسد حتى تبرأ منها ولعنة ، وأخبر أصحابه بالبراءة منهم ، وشدد القول في ذلك . ولا أدرِي لماذا نرى البعض يعد هذه الطوائف وأمثالها من الشيعة مع ما عرفت به من خروجها عن الدين الإسلامي وتبرؤ الشيعة منها .

الفصل الأول

الإمامية

ما كان القول بالإمامية بدعةً من الشيعة ، فإنَّ فرق الإسلام كلها تقول بوجوب الإمامة ، بل هي من الضرورات الفطرية عند الجميع ، بيد أنَّ الشيعة اختصتُ بآراء أهمها أنَّ الإمامة مختصةٌ بالإثنى عشر إماماً من أهل بيته النبي (ص) ، وسترى الأدلة القطعية على هذا من كتب صحاح الحديث عند أهل السنة .

ولو لم تكن الإمامة فرضاً لدى عامة المسلمين لما أنقادوا للخلافاء وأتبعوا الملوك الذين آسفلوا على العروش باسم الخلافة كملوكبني أمية وبني العباس وغيرهم ، ومنعوا من مخالفتهم والخروج عليهم لأنهم خلفاء وأولوا الأمر ، وبذلك فإنَّ الإمامة ضرورة فطرية يحكم بها العقل لحفظ الشريعة من العبث والتلاعب ، فكان من الظلم أن يُطعن في الشيعة لقولهم بالإمامية ، وأماماً بالنسبة لِإعتقادهم باختصاصها بأئمَّة أهل البيت الإثني عشر ، فما ذنب منْ هؤلاء الدليل إلى ذلك . أو ليس الأجرد بنا أن نسأل الشيعة عما عندهم من الدليل على ذلك ؟

ونسجِّل الأدلة والبراهين في سياق إجابتنا على هذا السؤال على النحو التالي :

- أولاً : الأدلة في إثبات إمامَة أهل البيت .
- ثانياً : الأدلة في إثبات أنَّ عددَ أئمَّة أهل البيت إثنا عشر .

ثالثاً : الأدلة في إثبات استخلاف النبي (ص) لعليّ بن أبي طالب كأول الأئمة .

أولاً : الأدلة في إثبات إمامية أهل البيت :

إن النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في إمامية أهل البيت على الأمة من بعده كثيرة نورد أشهرها :

ففي صحيح مسلم بسنده عن زيد بن أرقم قال : « إنّ الرسول (ص) قام خطيباً بيّن مكة والمدينة . . . ثم قال : ألا أيها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب ، وإنّي تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذلوا بكتاب الله واستمسكوا به . . . وأهل بيتي ، اذكريّم الله في أهل بيتي ، اذكريّم الله في أهل بيتي »^(٨) .

وفي صحيح الترمذى بسنده عن جابر بن عبد الله قال : « رأيت رسول الله (ص) في جتّه يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول : يا أيها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي »^(٩) .

تبّيه : وإنّه ليروي أيضاً أنّ الرسول (ص) قال : « إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا ، كتاب الله وستّي » . وعلى تقدير صحة هذه الرواية فإنّها لا تتناقض مع الحديثين الصحيحين أعلاه ، ذلك أنّ أهل البيت هم أوّل الطرق نقاًلاً لسنّته (ص) .

إلا أنّ كلمة « وستّي » - مجردة - كما في الرواية الأخيرة لا تفيد علمًا لأنّ جميع الطوائف الإسلامية تدعى بأنّها متّعة لسنة النبي (ص) بالرغم من وجود الاختلافات الكثيرة بين هذه الطوائف نظراً لاختلافهم في السنة المنقولة عن النبي (ص) . فمَا سنّتها منها ستبّع ؟

(٨) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب كتاب فضائل الصحابة .

(٩) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٣٠٨ ، مستدرك الصحيحين ، مسنّد أحمد .

فالسنة النبوية هي واحدة أصلًا - بالطبع - ولكن طرق نقلها كثيرة ، فأخذت السنة بإختلاف روایة الناقلين لها ، فأصبحت السنة النبوية سنتاً متعددة ، ونتيجة لذلك أصبح المسلمين مذاهب وفرقًا متعددة ، رُوي أنَّ عددها ثلاثٌ وسيعون فرقة كل منها تقول بأنَّ عندها السنة النبوية الصحيحة ، فالتمسّك بأيٍ من هذه الفرق لا يضمن الهدایة المفترض حدوثها - كما جاء في الحديث - ، فكان التصديق بالحديث الذي يقول بالتمسّك بكتاب الله وأهل البيت أقرب إلى العقل والمنطق لأنَّ فيه ما يفيد علمًا ، ويبعد الحيرة والشّتّى لما عُرف من اختصاص أهل البيت بالتطهير من الرجس كما سترى ذلك في ما يلي .

وفي صحيح مسلم ، أنَّ الرسول (ص) بين أنَّ أهل بيته هم علي وفاطمة وأباهما الحسن والحسين ، وأنهم الذين نزلت بحقهم آية التطهير كما يروي مسلم بسنده عن صفية بنت شيبة قالت : «قالت عائشة : خرج رسول الله (ص) وعليه مرط مرحلاً من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلتها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً﴾^(١٠) .

وفي صحيح الترمذى يتبيَّن بدلالة قاطعة أنَّ نساء النبي (ص) لسن المقصودات في آية التطهير - كما يدعى البعض - حيث يروي الترمذى بسنده عن عمرو بن أبي سلمة ربيب النبي (ص) أنه قال : «نزلت هذه الآية - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً﴾ - في بيت أم سلمة ، فدعا فاطمة وحسيناً وحسيناً ، فجللهم بكساء وعلي (ع) خلف ظهره ، فجللهم بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء هم أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهُّرْهم تطهيراً ، قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبى الله؟ قال : أنت على مكانك وأنت على خير»^(١١) .

(١٠) صحيح مسلم باب فضائل أهل بيته النبي كتاب فضائل الصحابة .

(١١) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٠٩ ، مستدرک الصحيحين ج ٢ ص ٤١٦ .

وفي مسند أحمد ، روى بسنده عن أم سلمة : « إنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ : أَتَنِي بِزَوْجِكَ وَأَبْنِيكَ ، فَجَاءَتْ بِهِمْ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ كَسَاءً فَدَكِيًّا (قال) ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ هُؤُلَاءِ أَلَّا مُحَمَّدٌ فَاجْعَلْ صَلَوَاتَكَ وَبَرَكَاتَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَلَّا مُحَمَّدٌ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، قَالَتْ أَمْ سَلْمَةُ : فَرَفَعَتِ الْكَسَاءَ لِأَدْخَلَ مَعَهُمْ فَجَذَبَهُ مِنْ يَدِي ، وَقَالَ : إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ ». (١٢)

حديث أم سلمة برواية البخاري

وفي مستدرك الصحيحين يروي الحاكم بسنده عن حنش الكناني ، قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخرذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله (ص) يقول : « مثلُ أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » (١٣) قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد .

وفي مستدرك الصحيحين أيضاً ، بالسند عن ابن عباس : « قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمني من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب ، اختلفوا فصاروا حزب إيليس ». (١٤)

ولمزيد من التوضيح ، وإضافة لما سبق من أدلة دامجة في إثبات أنَّ أهل البيت هم أصحاب تلك المنزلة الرفيعة من التطهير ، فقد اختصوا بنعتهم بكلمة « عليهم السلام » من دون جميع الصحابة ونساء النبي ، وذلك لمنزلتهم الرفيعة وما اختصهم الله بالتطهير من الرجس والأثام صغيرها وكبیرها ، كما يظهر ذلك في أكثر من مورد في صحيح البخاري :

عَلَيْهِ أَعْطَانِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَعْنُمِ ،
وَكَانَ النَّبِيُّ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمُسِ ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنَى بِفَاطِمَةَ

(١٢) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٠٦ .

(١٣) مستدرك الصحيحين ج ٢ ص ٣٤٣ زكاة الفطر .

(١٤) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٩ كتاب البيوع .

عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (١٥) . ؟

باب تحرير حديث النبي ﷺ على صلاة الليل والنواافل من غير إيجاب : وطرق النبي ﷺ فاطمة وعليها السلام ليلة للصلاة (١٦) . عَنْهُ قَالَ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُشَبِّهُهُ ، قُلْتُ لِأَبِي جُحَيْفَةَ صِفَةً لِي (١٧) .

أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَخْبَرَهُ : أَنَّ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَلَةَ فَقَالَ لَهُمْ : أَلَا تُصَلُّونَ؟ (١٨) .

ومن المعروف أن هذا النعت (عليه السلام) لم يعط في غير أهل البيت سوى الأنبياء عليهم السلام .

وعندما سُئلَ الرَّسُولُ (ص) عن كيفية الصلاة عليه أجاب : « قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ... » .

حدَّثَنَا الْحَكْمُ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ : لَقِينِي كعبُ بْنُ عَجْرَةَ فَقَالَ : أَلَا أهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ : قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَبِيدٌ (١٩) .

ذلك أن إبراهيم (ع) كاننبياً ، وآلـه كانوا أنبياء وحفظة للشريعة من

(١٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٧١ كتاب البيوع .

(١٦) صحيح البخاري ج ٢ ص ١٢٦ كتاب التهجد .

(١٧) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨٦ كتاب المناقب .

(١٨) صحيح البخاري ج ٩ ص ٤١٨ كتاب التوحيد .

(١٩) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٤٥ كتاب الدعوات .

بعده ، وهكذا كان آل محمد ولكن بفرق أنهم أستخلفوا ليكونوا أئمة وليسوا أنبياء كما بين ذلك الرسول (ص) عندما قال لعلي (ع) : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي »^(٢٠) كما سبأته ذلك في ما بعد .

ويُفهم من جميع ما سبق من أحاديث أنَّ الله جلَّ وعلا كما اختصر رسوله (ص) - الذي يوحى إليه - بالعصمة والتطهير بصفته مبلغ الرسالة وضماناً لسلامة تبليغه وإلا لما وثق الناس بكلامه ولما آطمنا إلى رسالته ، كذلك اختصر أئمة أهل البيت بالعصمة والتطهير بدلاله الآية : « إنما يربد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً »^(٢١) وبصفتهم من يملا الفراغ الذي تركه الرسول (ص) وذلك بحملهم التشريع الإلهي إلى الأجيال اللاحقة ، حفاظاً على الدين من تحريف المحرفين وإبطال المبطلين وتشكيك المشككين ، وإنَّ أسوأ ما أصاب الشرائع السابقة هو أنَّ اتباعها أخذوا أحكام أنبيائهم بعد غيابهم من كلِّ هبٍ ودبٍ ، فكان التحريف الذي تحدث عنه القرآن الكريم : « أفتطمرون أنَّ يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون »^(٢٢) فكان الضلال وكان الضياع .

فالإمامية بذلك تُعتبر امتداداً للنبوة في وظائفها العامة عدا ما يتصل بالوحي فإنه من مختصات النبوة ، والمقصود بإمتدادية الإمامة للنبوة هو حفظ الشرع علمًا وعملاً ، فوجبت عصمة الأئمة لوجوب نقل التشريع الإلهي - الذي جاء به رسول الله (ص) - للأجيال اللاحقة عن طريق نقية وأصيلة ، تمثلت بالأئمة الإثنى عشر من أهل البيت .

وهناك من الدلائل القرآنية ما يُشير إلى أنَّ الإمامة منصب من الرفعة والعلو بمكان لا يناله ظالم أو فاسق ، قال تعالى : « قال إني جاعلك للناس إماماً ،

(٢٠) صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٩٢ كتاب المغازي .

(٢١) الأحزاب : ٣٣ .

(٢٢) البقرة : ٧٥ .

قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ^(٢٣) فالخطبنة بصغرها وكثيراً ما تجعل من مرتكبها ظالماً ، فكان لا بد أن يكون الإمام معصوماً عن ارتكاب أي خطبنة أو إثم كما تدل الآية السابقة .

وقفة مع آية التطهير :

ما من شك في أن الآية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » تدل على عصمة من نزلت بشأنهم ، حيث أنَّ الرجس يعني في اللغة قَدْر (والقدر ضد النظافة) ، والطهارة في اللغة تعني التزاهة والنظافة .

والرجس للدلالة على الإثم ، والطهر للدلالة على التقوى ، فالمراد من إذهابه سبحانه وتعالى الرجس عنهم وتربيتهم وتزييفهم عن الأمور الموجبة للنقص فيهم ، لا يعني ذلك إلا العصمة والتطهير لِمَنْ نزلت الآية بحقهم ، وهم أهل البيت (ع) « محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين » ، كما دلت على ذلك الأحاديث السابقة بوضوح .

ورغم ذلك ، فإن البعض يقول بأن الآية لم تختص بأهل بيته (عليه وفاطمة والحسن والحسين) فقط ، بل تشمل نساءه أيضاً محتاجين بوقوع آية التطهير وسط مجموعة من الآيات (في سورة الأحزاب) حول نساء النبي (ص) .

إلا أنَّ هذا الإستدلال مردود ، فبالإضافة إلى ما أوردناه بشأن حديث أم سلمة في اختصاص الآية بمن عُيِّن بالاسم من أهل البيت ، فإنَّ الآية تدل دلالة قاطعة على عصمة من نزلت في حقهم كما بينا سابقاً ، ونساء النبي (ص) لسن من المعصومات ولم يقل أحد بذلك ، وتهديدهن بالطلاق كما جاء في الآيات السابقة لآية التطهير يكفي لإثبات هذه الحقيقة ، فضلاً عن خروج عائشة على رأس جيش حارب خليفة المسلمين وإمامهم الواجب الطاعة وغير ذلك مما ستره مفضلاً فيما بعد .

. ١٢٤ (٢٣) البقرة :

وما يؤكد أيضاً عدم دخول نساء النبي بمقصود آية التطهير هو أن ضمير المخاطب في الآيات السابقة لتلك هو ضمير الجمع المؤنث - انظر الآيات : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَا إِذَا وَجَدْتَكُنَّ تَرْدَنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِيَّنَهَا فَتَعْمَلُنَّ مُتَعَكِّنَ وَأَسْرَحَنَ سَرَاحًا جَمِيلًا ، وَإِنْ كَتَنَ ... مُنْكَنَ ... ، يَا نَسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ يَاتِ مُنْكَنَ بِفَاحِشَةٍ ... لَسْتَنَ ... فَلَا تَخْضُنَ ... وَقَرْنَ فِي بَيْوَنَكَنَ ، وَلَا تَبْرَجْنَ ... ﴾^(٤٤) ، وعندما بدأ الكلام بشأن التطهير ، أُنْقلَبَ ضمير المخاطب إلى ضمير الجمع المذكر ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجُسُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَظْهُرُكُمْ طَهِيرًا ﴾ ، وإن نزول الآيات القرآنية بتهديد نساء النبي (ص) بالطلاق مع إرادة الله بتطهير أهل البيت جاء متابعاً لا يعني بالضرورة أن المقصود بالمناسبين هو نساء النبي ، ذلك أنه يوجد كثير من الآيات من هذا النوع في القرآن تتحدث بشأن أمرين مختلفين ، ولعل سبب وقوعهما معاً في نفس الآية هو توافق زمن حصول المناسبين . كما أن القرآن الكريم لم يرتب حسب تسلسل نزول آياته كما هو معلوم ، وبالتالي فليس هناك أي دليل على أن مكان آية التطهير هو قطعاً ما هو موجود في القرآن المجموع .

وأخيراً ، مما يثبت عدم نزول آية التطهير في نساء النبي (ص) ، هو حديث الثقلين الذي يأمر بالتمسك بالكتاب وبأهل البيت (ع) . فلو أن المقصود بأهل البيت هو نساؤه ، فهل يوجد عند المسلمين حديث شريف ينص على إتباعهن والتمسك بهن بعد وفاة النبي (ص) إلى جانب التمسك بكتاب الله ؟

بالطبع لا ، وكيف يكون ذلك وقد أمرن بالإلتزام ببيوتهن فضلاً عن أنهن وجدن جميعاً في عصر واحد . وإذا قيل أن التمسك بهن يكون بإتباع ما رواتهن من أحاديث المصطفى (ص) ، فنقول أنه وجد منها من لم ترو ولو حديثاً واحداً فقط .

ثانياً : الأدلة في إثبات عدد أئمة أهل البيت الإثني عشر :
أخبر الرسول (ص) أن عدد الأئمة من أهل البيت الذين يلون من بعده
هو إثنا عشر :

جاء في كتاب الأحكام من صحيح البخاري :

قال : سمعت النبي ﷺ يقول : يكُونُ إثنا عَشْرَ أمِيرًا ، فقالَ كَلِمَةً لَمْ
أسمَعْهَا ، فقالَ أبِي : إِنَّهُ قَالَ : كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ ^(٢٥) .

وفي صحيح مسلم : « لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون
عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش » ^(٢٦) ، و « لا يزال أمر الناس ماضياً ما
وليهم إثنا عشر رجلاً » ^(٢٧) .

وفي مسندي أحمد بسنده عن عبد الله بن مسعود ، إنه قال : سُئل
رسول الله (ص) بشأن الخلفاء ، فقال : « إثنا عشر كعدة نقباء بني
إسرائيل » ^(٢٨) .

وفي التوراة عند أهل الكتاب ما معناه : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَشَرَ إِبْرَاهِيمَ
بِإِسْمَاعِيلَ ^(*) وَأَنَّهُ يَنْمِيَ وَيَكْثِرُ وَيَجْعَلُ مِنْ ذَرِيْتِهِ إِثْنَيْ عَشْرَ أمِيرًا وَأَمْمَةً عَظِيمَةً »
والنص حرفياً كما جاء في العهد القديم (التوراة) من الكتاب المقدس :
« وَأَمَّا إِسْمَاعِيلَ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ . هَا أَنَا أَبْارِكُهُ وَأَثِمُرُهُ وَأَكْثُرُهُ »

(٢٥) صحيح البخاري ص ٢٥٠ ج ٩ كتاب الأحكام .

(٢٦) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب الناس تبع لقريش .

(٢٧) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب الناس تبع لقريش .

(٢٨) مسندي أحمد ج ١ ص ٣٨٩ .

* من المعلوم أنَّ سيدنا محمد (ص) وأهل بيته (ع) قد انحدر نسلهم من
إسماعيل (ع) ، فالإثنى عشر أميراً هم أئمة أهل البيت الإثني عشر ، والأئمة العظيمة هي
أمة محمد (ص) - وهذا يصلح ليكون حجة على أهل الكتاب في صدق نبوة سيدنا
محمد (ص) .

كثيراً جداً . إثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة »^(٢٩) .

إن الروايات أعلاه يبيّن بعضها أنَّ عزَّةَ الإسلام موكولة بالإثنى عشر خليفة ، ويرى بعضها الآخر أنَّ حياة الدين وبقاءه إلى يوم القيمة موكولة بهم ، وانهم كلهم من قريش ، وفي روايات أخرى : كلهم من بنى هاشم .

ولا تنطبق هذه الروايات على أي مذهب سوى مذهب أهل البيت (ع) - مذهب الشيعة الإمامية الإثنى عشرية - ، وذلك لتوافق هذا العدد مع عدد أئمَّةِ أهل البيت الإثنى عشر ، في الوقت الذي يصل فيه علماء أهل السنة في تفسيرهم لهذا الحديث إلى طريق مسدود ، هل المقصود هم الخلفاء الأربع إضافة إلى خلفاء بنى أمية وبنى العباس؟ نحن نعلم بالطبع ، أنَّ الخلفاء الأوائل لم يكونوا إثنى عشر ، ولا ينضمُّون إلى طبقات بنى أمية وبنى العباس إليهم ينطبق عليهم هذا العدد ، ولم يختلف علماء أهل السنة في أمر كما اختلوا في تفسيرهم لهذا الحديث .

ونورد مثلاً واحداً لترى مدى اضطرابهم في تفسير هذا الحديث هو رأي للسيوطني يذكره في تاريخه : « وقد وُجد من الإثنى عشر ، الخلفاء الأربع والحسن وعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية ، ويُحتمل أن يضم إليهم المهدى العباسي لأنَّه في العباسين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين ، والطاهر العباسي أيضاً لما أوتيه من العدل ويبقى الإثنان المتظران أحدهما المهدى لأنَّه من أهل البيت »^(٣٠) .

ولن نجد العدد « إثنى عشر » يتحقق في أي مجموعة سوى أئمَّةِ الشيعة الإثنى عشر ، والأحاديث الواردة في هذا الخصوص عن طرق الشيعة كثيرة تفوق حد التواتر حيث ذُكر فيها أسماء الأئمَّةِ الإثنى عشر تفصيلاً بما لا يقبل حيرة ولا اختلافاً .

(٢٩) سفر النكوب (20: 17). (GENESIS 17: 20).

(٣٠) تاريخ السيوطني ص ١٢.

فما الذي يدعوا إلى أن نهمل التفسير الواضح البَيِّن للحديث المنسجم في
تواتي أئمَّة الشيعة الإثني عشر ، ونلقي بأنفسنا في متأهات لا مخرج منها ؟

ثالثاً : الأدلة في إثبات استخلاف علي بن أبي طالب :
لقد سبق بيان الأدلة على إمامية أهل البيت (ع) وأنَّ أئمَّتهم الإثني عشر
هم خلفاء الرسول (ص) .

وفي ما يلي نبَيِّن الروايات الدالة على استخلاف النبي (ص) لعلي بن
أبي طالب على الأمة من بعده إماماً أول (من الأئمَّة الإثني عشر) ، وهذه
الروايات متواترة عند الفريقيين إلا أنَّ الاختلاف بينهم حصل في مدلولها . وأهمُّ
الأحاديث في ذلك هو ما عُرف بخطبة الغدير ، نورد منها ما مختصره :
في صحيح الترمذى بسنده عن زيد بن أرقم أنَّ النبي (ص) قال : «مَنْ
كُنْتْ مُولاً فَعَلَّيْ مُولاً»^(٣١) .

وفي صحيح ابن ماجة بسنده عن البراء بن عازب قال : (أقبلنا مع
رسول الله (ص) في حجته التي حجَّ ، فنزل في بعض الطريق ، فأمر الصلاة
جامعة ، فأخذ بيدي علي (ع) ، فقال : ألسْتُ أُولَى بالمؤمنين من أنفسهم ؟
قالوا : بلى ، قال : ألسْتُ أُولَى بكل مؤمن من نفسه ، قالوا : بلى ، قال :
فهذا ولِيٌّ من أنا مولا ، اللهم وال من والاه ، اللهم عاد من عاده)^(٣٢) .

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن البراء بن عازب قال : (كنا مع
رسول الله (ص) في سفر ، فنزلنا بغدير خم ، فنودي فينا الصلاة جامعة ، .
وكسر لرسول الله (ص) تحت شجرتين ، فصلَّى الظهر وأخذ بيدي علي (ع)
فقال : ألسْتُم تعلمون أنِّي أُولَى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال :
ألسْتُم تعلمون أنِّي أُولَى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيدي
علي (ع) فقال : من كنت مولاً فعلي مولاً ، اللهم وال من والاه وعاد من

(٣١) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٣٢) صحيح ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله (ص) .

عاده ، قال : فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك ، فقال له : هنئنا لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة)^(٣٣) .

إن الحديث هذا أشتهر باسم حديث الغدير لوقوع مكانه عند غدير خم ، وهو من أقوى أدلة الشيعة وأظهرها على خلافة علي (ع) ولولاته وإمامته من بعد النبي (ص) ، وهذا الحديث يعتبر في أعلى مراتب الصحة والقوة ، لأنه متواتر عند المسلمين جميعاً سنة وشيعة .

ولقد سعى البعض من لم يستطعوا بث الشكوك حول صحة أسانيد هذا الحديث ، إلى إلقاء الشكوك في دلالته على الإمامة والخلافة ، وإعتبراهم أن كلمة «مولى» تعني «الصديق» أو «المحب» ، لا «ولي الأمر» ، فكلمة مولى كما في الحديث التالي - على سبيل المثال - جاءت بمعنى ولي الأمر أو الأولى بالتصريح أو الوكيل .

عن النبي ﷺ قال : ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شتمتم : «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأيّما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبيته من كانوا ، فإن ترك ديننا أو ضياعاً فليأتني وأنا مولاهم)^(٣٤) .

وإمعان في حديث الغدير والظروف الزمانية والمكانية التي أحاطت به ، وقرائن أخرى تدل بحق على أن المقصود لم يكن سوى الإمامة والولاية التي تعني القيادة بكل ما فيها من معان ، ومن هذه القرائن :

١ - إن آية التبليغ «يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)^(٣٥) التي نزلت قبل حداثة الغدير ، تدل بلهجتها الحادة وما فيها من القرائن على أن الكلام لم يكن بشأن الصداقية العادلة ، إذ أن هذا لا يستوجب كل تلك الأهمية والتوكيد ، فقد جعل الله تبليغ الرسالة متوقفاً على ثبيت الخلافة من بعده لأن الخلافة

(٣٣) مسنـد أـحمد ج ٤ ص ٢٨١ .

(٣٤) صحيح البخاري ص ٢٩٠ ج ٦ كتاب التفسير .

(٣٥) المائدة : ٦٧ ، الواحدـي في أـسباب التزـول والتفسـير الكبير للرازـي .

بها لا بغيرها يؤمن الله ورسوله (ص) لهذه الأمة دينهم عند من ورثوا علوم النبي بعد وفاته (ص).

كما أن الآية الخاصة بإكمال الدين «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتكم بالإسلام دينكم»^(٣٦) - التي نزلت مباشرةً بعد خطبة الرسول (ص) التي نصب فيها على علية (ع) خليفة وإماماً للأمة - تدلّ دلالة قاطعة على أن الموضوع كان على درجة من الأهمية كموضوع القيادة والخلافة بعد رسول الله (ص)، وأنه كان يقصد تعيين الإمام بعده وأن هذا الإمام بعده إنما هو على، لا أن المقصود من الحديث: من كنت محبةً وناصره فعلّي محبةً وناصره.

٢ - الطريقة التي وُصفَ بها الحديث، بكل ظروفه والصحراء المحرقة التي أقيمت فيها، تلك الخطبة المسحبة وأخذ الإقرار من الناس في ذلك الجو وذلك المكان، كلها تدل على صحة ما ذهبنا إليه من تنصيب علي في مقام الإمامة ولا شيء غير ذلك، لأنه أمر مهم يجب أن يعرف قبل أن يحل أجل الرسول الذي لم يكن هو نفسه (ص) يعرف متى يكون، فقد يحل الأجل قبل وصوله (ص) إلى المدينة، وعليه فالواجب أن يعلن اسم الولي بعده حالاً لأن إعلان إسم الولي له نتائج عملية على المسلمين بعده وعلى مجتمعهم، أما أن معرفتهم أن علياً (ع) محب للمؤمنين - مثلاً - فأمر لا أثر له على حياة الناس وعدم معرفته لا يغير شيئاً من حياتهم ونظامهم.

وفي صحيح الترمذى بسنده عن عمران بن حصين قال: (بعث رسول الله (ص) جيشاً واستعمل عليهم علي بن أبي طالب (ع)، فمضى في السرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: إذا لقينا رسول الله (ص) أخبرناه بما صنع علي، فأقبل رسول الله (ص) والغضب يُعرف في وجهه وقال: ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه وهو ولی كل مؤمن بعدي)^(٣٧).

(٣٦) المائدة: ٣، السيوطي في الدر المثور، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(٣٧) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٧.

ونزل قوله تعالى : « إنما ولِكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ »^(٣٨) في عَلَيْ فِي تَفْسِيرِ مُعَظَّمِ الْمُفَسَّرِينَ^(٣٩) عِنْدَمَا تَصَدَّقَ بِخَاتَمَةِ لَمْسَكِينِ جَاءَهُ وَهُوَ فِي أَثْنَاءِ الصَّلَاةِ رَاكِعاً .

وَمِنَ الْأَحَادِيثِ الْأُخْرَى الَّتِي تُشِيرُ إِلَى آسْتَخْلَافِ عَلَيِ حَدِيثِ الْمُتَزَلَّةِ :

عَنْ مُضْعِفِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا فَقَالَ : أَتُخَلِّفُنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ ؟ قَالَ : أَلَا تَرَضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَتْزِلَةٍ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا بَعْدِي^(٤٠) .

وَيَدِلُّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَنَاصِبِ الَّتِي كَانَتْ لِهَارُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ جَانِبِ مُوسَى^(ع) - بِاستِئْنَاءِ النَّبِيِّ - كَانَ لِعَلِيٍّ مِثْلُهَا ، لَأَنَّ الْحَدِيثَ لَا يُوجَدُ بِهِ أَيْ قِيدٌ أَوْ شَرْطٌ ، وَبِذَلِكَ يُفْهَمُ مِنْهُ مَا يُلَيِّ :

١ - كَانَ عَلَيْهِ^(ع) وزِيرُ الرَّسُولِ^(ص) وَمَعَاوِنُهُ الْخَاصُّ ، وَشَرِيكُهُ فِي قِيَادَةِ الْأُمَّةِ ، إِذَا أَنَّ الْقَرَائِنَ أَثْبَتْتُ هَذِهِ الْمَنَاصِبَ لِهَارُونَ . قَالَ تَعَالَى :

« ... وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي ، أَشَدَّ بَهِ أَزْرِي ، وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي ، ... قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى »^(٤١) .

٢ - كَانَ عَلَيْهِ^(ع) الْأَفْضَلُ فِي الْأُمَّةِ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ^(ص) بِمِثْلِمَا كَانَ هَارُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلِ .

وَمَا يُؤَكِّدُ اسْتِحْقَاقَ عَلَيِّ لَهَذِهِ الْمُتَزَلَّةِ الرَّفِيعَةِ بِاسْتَخْلَافِهِ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ الرَّسُولِ^(ص) ، أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمُ بَيْنِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ بِاعْتِرَافِ أَشْهَرِهِمْ :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ

. ٥٥) المائدة : ٣٨.

(٣٩) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ ، أَسْبَابُ النَّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ ، شَوَاهِدُ التَّنْزِيلِ لِلْحَاكِمِ وَأَسْبَابُ الْأَشْرَافِ .

(٤٠) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ ص ٤٩٢ ج ٥ كِتَابُ الْمَغَازِيِّ .

(٤١) طه : ٢٩ - ٣٦ .

عنه : أَقْرَأْنَا أُبِي^{٤٢} ، وَأَفْضَلَنَا عَلَيْهِ^{٤٣} .

ذلك أن الأقضى هو الأعلم بالأحكام والقوانين كما لا يخفى .

ويكفي لإثبات أعلميته أنه باب مدينة علم رسول الله وحكمته كما في صحيح الترمذى بسنده عن علي (ع) ، قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة الحكمة وعلى بابها »^{٤٤} .

وفي مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس (رض) ، قال رسول الله (ص) : « أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب »^{٤٥} قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

وفي مستدرك الصحيحين أيضاً ، قال رسول الله (ص) لعلي : « أنت تبيّن لأمتى ما اختلفوا فيه من بعدي »^{٤٦} .

ولفترض أنّ نبي الإسلام لم يعين أحداً يخلفه من بعده ولفترض أنّ اختيار الخليفة كان على عاتق الأمة ، فهل يجوز عند الانتخاب أن تتجاوز الأعلم والأتقى والأكثر تميّزاً عن الآخرين من جميع الوجوه كما بيتنا ، فقد كان علي الأعلم بين جميع الصحابة وكانوا يرجعون إليه إذا ما واجهتهم معضلة دينية معقدة .

أما عن زهده وتقواه فقد عُرف بإمام الزاهدين .

وأمّا عن شجاعته وبطولاته الخارقة ، فقد كان أول فدائى في الإسلام وكان له في كل موقعه الدور الحاسم ، ففي بدر قتل بسيفه « ذي الفقار » ثلاثة صنديداً من صناديد قريش ، وفي أحد وحنين وقف ذلك الموقف التاريخي مستمنياً يدافع عن الرسول (ص) بعد فرار الغالبية العظمى من الصحابة ، وفي

(٤٢) صحيح البخاري ص ١٠ ج ٦ كتاب التفسير .

(٤٣) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤٤) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ .

(٤٥) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٢ .

الخندق حيث خرج لمبارزة عملاق المشركين عمرو بن عبدود العامري في الوقت الذي لم يجرؤ فيه أي من باقي الصحابة على الخروج إليه ، وفي خير إذ فتح الله على يديه باب الحصن ، بعد أن استعصى عليهم وقد عجز عن فتحه جمع كبير من الصحابة معاً .

وتميز أيضاً عن باقي الصحابة بأنه لم تدنسه الجاهلية بانجازها ، وتلقى تربيتها الفريدة على يدي معلم البشرية الأول محمد (ص) إذ لم يفارقه لحظة طوال حياته حتى فارق الدنيا وهو بين يديه ، فكان طوال حياته يتلقى العلم والحكمة من رسول الله (ص) فأستحق بجدارة أن يكون باب مدينة علم رسول الله وحكمته وأخاه .

ففي صحيح الترمذى بسنده عن ابن عمر قال : « أخي رسول الله (ص) بين أصحابه فجاء عليٌّ (ع) تدمع عيناه ، فقال يا رسول الله ، آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيبي وبين أحد ، فقال رسول الله (ص) : أنت أخي في الدنيا والأخرة »^(٤٦) .

وقال النبي ﷺ لعليٍّ : أنت مبنيٌّ وأنا مبنٌّ^(٤٧) .

وتميز عن باقي الصحابة أيضاً بأنه كان الأكثر فضائل ، فقد جاء في مستدرك الصحيحين عن أحمد بن حنبل أنه قال : « ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله (ص) من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب (ع) »^(٤٨) .

وفي كنز العمال ، قال رسول الله (ص) : « إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من عليٍّ »^(٤٩) وكان ذلك بعد أن رفض تزويجها لعدد من الصحابة تقدموا لطلبها في محاولة لنيل هذا الشرف العظيم بالزواج من بضعة الرسول (ص) وسيدة

(٤٦) صحيح الترمذى ج ٢ ص ٢٩٩ .

(٤٧) صحيح البخاري ص ٤٣ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٤٨) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٠٧ .

(٤٩) كنز العمال ، ذخائر العقبى .

نساء المؤمنين وأهل الجنة والتي يغضب الله لغضبها ، وقد صدق من قال : « لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفوء »^(٥٠) .

وبعد كل ذلك ، فإنّه إذا فرضنا أنَّ انتخاب الخليفة موكول إلى الناس أنفسهم ، فإنَّ علياً كان اليق الموجدين وأجدرهم بالخلافة .

مخالفة جمهور المسلمين لنصوص الإمامة :

بعد وضوح الأدلة والبراهين السابقة على تعيين النبي (ص) بأمر من الله تعالى لعلي بن أبي طالب (ع) إماماً للMuslimين من بعده ابتداءً ، ولائمة أهل بيته الإثني عشر على وجه العموم ، من الممكن أن يسأل بعض الناس فيقول : لو كانت النصوص تلك في إمامية أهل البيت حقاً ، فلماذا وكيف آلت الخلافة إلى غيرهم ؟

وللإجابة على هذا السؤال ، نورد بعضاً من الحوادث التاريخية المهمة التي كان لها الأثر الكبير في تغيير مسار التاريخ الإسلامي ابتداءً باجتهد الخلفاء الأوائل في الخلافة وغيرها مقابل نصوص النبي (ص) الثابتة ، وانتهاءً باستيلاء بني أمية عليها بالقوة وغلبة السيف لما فيها من نعيم دنيوي ومجد طالما حلموا به . ومن هذه الحوادث :

- ١ - منع بعض الصحابة رسول الله (ص) من كتابته للوصية .
- ٢ - تخلف بعض الصحابة عن بيعة أسماء وطعنهم في إمارته .
- ٣ - أحداث السقيفة وبيعة أبي بكر .
- ٤ - استخلاف عمر وبيعته .
- ٥ - الشورى وبيعة عثمان .
- ٦ - موقعة الجمل وخروجه أم المؤمنين
- ٧ - موقعة صفين وتمرد معاوية .
- ٨ - استشهاد الإمام علي (ع) .

(٥٠) كنز الحقائق للمناوي ، وأخرجها الديلمي .

٩ - استشهاد الإمام الحسن (ع) .

١٠ - ثورة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (ع) .

وستتناول في ما يلي كلاً من هذه الحوادث بشيء من التفصيل :

أولاً : منع بعض الصحابة رسول الله (ص) من كتابته للوصية :

عندما أراد الرسول (ص) أن يكتب الوصية في حضرة كبار الصحابة وهو في آخر أيامه وقد اشتد عليه المرض ، رماه بعضهم بكلمة أحدثت ضجيجاً كبيراً ، وقد غضب الرسول (ص) على أثرها ، فطردهم من مجلسه وعدل عن كتابة الوصية ، وقد حصلت هذه الحادثة في يوم الخميس قبل وفاته ببضعة أيام ، وقد عرفت هذه الحادثة « بروزية يوم الخميس » ، كما يظهر ذلك من خلال الروايات التالية :

سعید بن جبیر قال : قال ابن عباس : يوم الخميس ، وما ييوم الخميس ، اشتد برسول الله عليه السلام وجعه فقال : اثنونی أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتذارعوا ولا ينبعي عند نبی تنازع ، فقالوا : ما شأنه أهجر ؟ استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال : دعوني فالذی أنا فيه خیر مما تدعوني إليه^(٥١) .

عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس رضي الله عنهم قال : لما حضر رسول الله عليه السلام وفي البيت رجال فقال النبي عليه السلام : هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، فقال بعضهم : إن رسول الله عليه السلام قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت وأختصموا ، فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله عليه السلام : قوموا . قال عبد الله : فكان يقول ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله عليه السلام

(٥١) صحيح البخاري ص ١١١ ج ٥ كتاب المغازي

وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ إِلَّا خِلَافُهُمْ وَلَغْظِهِمْ^(٥٢) .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ اللَّهِ وَفِي
الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابُ ، قَالَ النَّبِيُّ : هَلْمَ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا
لَا تَضْلُلُوا بَعْدَهُ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّ النَّبِيَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَجْعُ وَعِنْدَكُمْ
الْقُرْآنُ ، حَسِبْنَا كِتَابَ اللَّهِ . فَانْخَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ
يَقُولُ قَرَبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النَّبِيُّ كِتَابًا لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا
قَالَ عُمَرُ . فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ : قَالَ رَسُولُ
اللهِ قَوْمُوا . قَالَ عَبْدُ اللهِ : وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ : إِنَّ الرَّزِيْةَ كُلُّ
الرَّزِيْةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ
اخْتِلَافِهِمْ وَلَغْظِهِمْ^(٥٣) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، كَانَ رَدُّهُمْ : « . . . فَقَالُوا : إِنَّ رَسُولَ اللهِ
يَهْجُرُ »^(٥٤) وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ الْأَخِيرَةُ الَّتِي تَرْمِي النَّبِيَّ (ص) بِنَعْتٍ يَمْسِي عَصْمَتَهُ
وَكَرَامَتَهُ ، وَيَسْتُشْفَفُ مِنْهَا بِوضْحٍ أَنَّ قَاتِلَهَا يَرِيدُونَ أَنْ يَمْنَعُوا الْمُسْلِمِينَ عَنِ
الْوَصْلِ إِلَى كِتَابِ النَّبِيِّ (ص) يَحْدُدُ اسْمَ خَلِيفَتِهِ بِصَرَاحَةٍ تَمْنَعُ أَصْحَابَ
الْأَهْوَاءِ عَنِ التَّحْرِكِ وَعَنِ تَحْوِيلِ مَسَارِ خَلَافَةِ النَّبِيِّ إِلَى حِيثُ يَرِيدُونَ . حَاوَلَ أَبُو
بَكْرَ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوَهِريَّ فِي كِتَابِهِ « السَّقِيقَةُ » أَنْ يَحْجَبَهَا ، فَقَالَ :
« فَقَالَ عُمَرُ كَلْمَةً مَعْنَاهَا أَنَّ الْوَجْعَ قَدْ غَلَبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ (ص) ثُمَّ قَالَ :
عَنْدَنَا الْقُرْآنُ حَسِبْنَا كِتَابَ اللهِ »^(٥٥) ، وَوَاضْحَى أَنَّ كَلْمَةً « يَهْجُرُ » لَا تَعْنِي
« يَتَوَجَّعُ » الَّتِي أَرَادَ هَذَا الْمُتَأْخِرُ أَنْ يَسْتَدِلُّهَا لِيَكْتُمْ قِيمَةَ الْكَلْمَةِ الْأُولَى بِحَقِّ
النَّبِيِّ (ص) .

وَكُلُّ مَنْ يَتَمْعَنُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ ، يَتَيَقَّنُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَالَ يَوْمَنْدَ « هَجْرٌ »

(٥٢) صَحِيحُ البَخَارِيِّ صِ ٥١٢ جِ ٥ كِتَابُ الْمَغَازِيِّ .

(٥٣) صَحِيحُ البَخَارِيِّ صِ ٣٨٩ جِ ٧ كِتَابُ الْمَرْضِىِّ .

(٥٤) صَحِيحُ مُسْلِمٍ : كِتَابُ الْوَصِيَّةِ بَابُ تَرْكِ الْوَصِيَّةِ .

(٥٥) السَّقِيقَةُ لِأَبِي بَكْرِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجَوَهِريِّ .

رسول الله » إنما هو عمر بن الخطاب ، ثم نسج على منواله من الحاضرين مَنْ كانوا على رأيه فكان من ذلك غضب رسول الله (ص) وطرده إياهم بقوله « قوموا عنِّي » .

وإذا تأملت في قول الرسول (ص) : « آئوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » قوله في حديث الثقلين : « إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب الله وعتري أهل بيتي »^(٥٦) تعلم أنَّ المقصود في الحديثين واحد ، حيث أراد الرسول (ص) في مرضه أن يكتب لهم تفصيل ما أوجبه عليهم في حديث الثقلين . ولكنه عدل عن الكتابة بعد كلمتهم تلك التي فاجأوه بها ، والتي أضطرته إلى العدول - ثلاثة يفتح البعض باباً إلى الطعن في النبوة - إذ لم يبق أثر لكتابه الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده في أنه هل هجر في ما كتبه - والعياذ بالله - أم لم يهجر ، كما اختلفوا في ذلك في حضرته كما يظهر في الأحاديث السابقة ، حيث أنَّهم قد اكتفوا بما عندهم من القرآن وقد جوزوا لأنفسهم العدول عن كلام النبي (ص) وهو في حال المرض ، وكأنَّهم قد نسوا ما قاله جلَّ وعلا في حق نبيه الكريم : « ﴿ وَمَا يُنطِقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ، عَلِمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾^(٥٧) ، و﴿ وَمَا أَنَّكُمْ بِرَسُولِنَا فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهِ فَاتَّهُوا ﴾^(٥٨) ، و﴿ إِنَّهُ لِقُولَ رَسُولِكَرِيمِ ذِي قُوَّةٍ عِنْ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ مَطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٌ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾^(٥٩) .

وقد وصف ابن عباس ذلك الموقف خير وصف عندما قال : « إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطتهم » .

كل ذلك حصل في حضرة الرسول (ص) ، مما بالك بالذي سيحصل في غيابه وبعد وفاته ؟؟

(٥٦) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٠٦ .

(٥٧) النجم : ٢٠ .

(٥٨) الحشر : ٧ .

(٥٩) التكوير : ١٩ .

ثانياً : تخلف بعض الصحابة عن بعثة أسماء وطعنهم في إمارته :

من المعروف عند جميع المسلمين أنَّ الرسول (ص) عقد لِأُسَمَّةَ بْنَ زَيْدَ سريةً إلى غزو الروم وهو ابن سبعة عشر عاماً ، وهي آخر السرايا على عهد الرسول (ص) ، ولم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وأمثالهم ، إلَّا وقد عبَّاه بالجيش^(٦٠) - وقد أجمع على هذه الحقيقة أهل السير والأخبار وهي من المسلمات - ، وأمر أُسَمَّةَ بالمسير ، إلَّا أنَّهم تناقلوا في ذلك وقد طعن بعضهم في تأميره عليهم ، حتى غضب الرسول (ص) من طعنهم غضباً شديداً فخرج مغضِّبَ الرأس ، وكان ذلك أثناء مرضه وقبيل وفاته بيومين وصعد المنبر وقال كما يروي البخاري بسنده عن ابن عمر :

ابن عمر رضي الله عنهما قال : أمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَمَّةَ عَلَى قَوْمٍ فَطَعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ : إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ كَانَ خَلِيقاً لِلْإِمَارَةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنْ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ^(٦١) .

ثم حضَّهم على المسير بها والتعجِيل في ذلك ، إلَّا أنَّهم تباطأوا مرةً أخرى ، وتوفي الرسول (ص) قبل أن يبدأوا بالمسير .

ويستفاد من هذه الحادثة ما يلي :

١ - اجتهاد بعض الصحابة في موضع نص النبي (ص) ، حيث أنَّهم اعترضوا على تأمير أُسَمَّةَ بْنَ زَيْدَ عليهم لصغر سنِّه بالرغم من أنَّ الرسول (ص) قد عقد لواه بيدِه ، وإذا فهمنا هذه ، فإنَّه لن يصعب علينا فهم الكيفية والسبب في

(٦٠) رجال حول الرسول لخالد محمد خالد ص ٥٤٨ ط ٨ ، تاريخ الطبرى ، ابن الأثير وطبقات ابن سعد وغيرهم .

(٦١) صحيح البخاري ص ٣٨٧ ج ٥ كتاب المعاذى .

اجتهدتهم في مقابل نص الرسول (ص) بمسائل أكبر كاستخلاف علي وإمامته .

٢ - إن تأمير الرسول (ص) أساميـة عليهم وهو ابن سبع عشرة سنة فقط ، إنما فعله (ص) ليكون درساً عملياً لهم في تقبـل إمارة منـ هو أصغر منهم عمراً ، ولذا أظهرـ (ص) الغضـب عندما طعنوا في إمارة أسامـة .

٣ - عندما عقد الرسول (ص) اللواء لـ أسامـة ، كان يعلم بأنـ موعد انتقالـه إلى الرفيق الأعلى قد دـنا ، ولا شـك أنهـ كان يـفكـر بماـ سيحصلـ بعدهـ منـ تـنـازـع علىـ الـخـلـافـة ، فـكانـتـ حـكمـتـهـ بالـغـةـ فيـ وـضـعـ كـبارـ المـهاـجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ فـيـ تـلـكـ السـرـيـةـ وـالـتيـ أـمـرـهـ بـالـمـسـيرـ قـبـلـ وـفـاتـهـ بـأـيـامـ حتـىـ لاـ يـكـونـ هـنـاكـ أيـ مـجـالـ لـلـتـنـازـعـ عـلـىـ إـمـارـةـ فـضـلـاـ عـنـ إـجـتـهـادـ فـيـهاـ . وـقـدـ كـانـ عـلـيـ مـلـازـمـاـ لـلـرـسـوـلـ (ص) طـوالـ تـلـكـ الـأـثـنـاءـ وـلـمـ يـكـنـ لـيـفـارـقـهـ لـحـظـةـ أـثـنـاءـ مـرـضـهـ ، وـبـعـدـ وـفـاتـهـ اـشـتـغلـ بـغـسلـهـ وـقـدـ ذـهـبـ المـهـاجـرـونـ وـالـأـنـصـارـ يـتـنـازـعـونـ عـلـىـ إـمـارـةـ فـيـ سـقـيـفـةـ بـنـيـ سـاعـدـ بـعـدـ أـنـ تـشـاقـلـوـاـعـنـ الـمـسـيرـ فـيـ بـعـثـةـ أـسـامـةـ الـتـيـ كـانـواـ جـنـدـاـ فـيـهاـ ، وـكـانـ ذـلـكـ اـجـتـهـادـاـ مـنـهـمـ لـقـلـقـهـمـ عـلـىـ مـاـ سـيـحـدـثـ بـعـدـ وـفـاةـ رـسـوـلـ اللهـ (ص)ـ فـيـ حـالـ غـيـابـهـ .

ثالثاً : أـحـدـاثـ السـقـيـفـةـ وـبـيـعـةـ أـبـيـ بـكـرـ :

فيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـ فـيـهـ عـلـيـ (ع)ـ وـمـنـ مـعـهـ مـنـشـغـلـيـنـ بـتـجهـيزـ النـبـيـ (ص)ـ ، كـانـ عـمـرـ بنـ الـخـطـابـ يـعـلنـ إـنـكـارـهـ لـوفـاهـ رـسـوـلـ اللهـ (ص)ـ وـيـهـدـدـ كـلـ مـنـ يـقـولـ ذـلـكـ بـالـقـتـلـ ، وـلـمـ يـكـنـ يـصـدـقـ بـوـفـاتـهـ (ص)ـ حتـىـ رـجـعـ أـبـوـ بـكـرـ مـنـ مـكـانـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ يـدـعـيـ «ـ السـنـعـ »ـ .

أـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ مـاتـ وـأـبـوـ بـكـرـ بـالـسـنـعـ ، قـالـ إـسـمـاعـيلـ :ـ تـعـنـيـ بـالـعـالـمـيـةـ ، فـقـامـ عـمـرـ يـقـوـلـ :ـ وـالـلـهـ مـاـ مـاتـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ ، قـالـتـ :ـ وـقـالـ عـمـرـ :ـ وـالـلـهـ مـاـ كـانـ يـقـعـ فـيـ نـفـسـيـ إـلـاـ ذـلـكـ وـلـيـبـعـثـهـ اللـهـ فـلـيـقـطـعـنـ أـيـديـ رـجـالـ وـأـرـجـلـهـمـ ، فـجـاءـ أـبـوـ بـكـرـ فـكـشـفـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ فـقـبـلـهـ فـقـالـ :ـ يـأـيـ أـنـتـ وـأـمـيـ ، طـبـتـ حـيـاـ وـمـيـتـاـ ، وـالـلـهـ الـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ لـاـ يـدـيقـكـ اللـهـ

المُؤْتَنِينَ أَبْدًا ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ^(٦٢) .
أَمَا الْأَنْصَارُ فَقَدْ آجَتُمُوا فِي سَقِيفَتِهِمْ « سَقِيفَةُ بْنِ سَاعِدَةَ » وَرَشَحُوا
سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ لِيَكُونَ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَعِنْدَمَا عُلِمَ كَبَارُ الْمَهَاجِرِينَ
(أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرٌ وَأَبُو عَبِيدَةَ) بِذَلِكَ ، ذَهَبُوا إِلَيْهِمْ عَلَى الْفُورِ وَأَعْلَنُوا أَنَّهُمْ أَحَقُّ
بِالْأَمْرِ ، وَدَارَ حَوَارٌ بَيْنَ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ اشْتَدَ فِيهِ الْجُدُلُ وَالتَّزَاعُ . فَقَدْ وَقَفَ
رَعِيمُ الْأَنْصَارِ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ قَائِلًا :

ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكَتِيبَةُ الإِسْلَامِ ، وَأَنْتُمْ مُغَسَّرُ
الْمَهَاجِرِينَ رَهْطًا ، وَقَدْ دَفَتْ دَافَةً مِنْ قَوْمِكُمْ ، فَإِذَا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَرُلُونَا
مِنْ أَصْلَنَا ، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الْأَمْرِ^(٦٣) .

فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ وَالْقَى خطاباً ذَكَرَ فِيهِ فَضْلَ الْمَهَاجِرِينَ وَأَحْتَاجَ بِقَرْشِيتِهِمْ فِي
أَحْقِيقِهِمْ بِالْخِلَافَةِ :

فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنَ
الْجَرَاحَ . فَذَهَبَ عُمَرٌ يَتَكَلَّمُ فَاسْكَنَتْهُ أَبُو بَكْرٍ^(٦٤) فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : لَا ، وَلِكُنَا
الْأَمْرَاءُ ، وَأَنْتُمُ الْوَزَّارَاءُ ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ دَارَاً ، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابَاً^(٦٥) ،
وَقَدْ رَضِيَتْ لَكُمْ أَحَدُ هَذِئِنَ الرَّجُلَيْنِ^(٦٦) ، فَبَأْيُعُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَوْ أَبَا
عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَاحِ^(٦٧) .

فَرَدَ عَلَيْهِ أَحَدُ وِجَاهِ الْأَنْصَارِ وَهُوَ حَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ :

فَقَالَ حَبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ : لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ ، مَنَّا أَمِيرٌ ، وَمِنْكُمْ
أَمِيرٌ^(٦٨) .

(٦٢) صحيح البخاري ص ١٣ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٦٣) صحيح البخاري ص ٥٤١ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(٦٤) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٦٥) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٦٦) صحيح البخاري ص ٥٤٢ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(٦٧) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٦٨) صحيح البخاري ص ١٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

وكان ردَّ الأنصار برواية أخرى :

فقالَ قائلُ الأنصارِ : أنا جُذِيلُهَا الْمُحَكَّمُ ، وَعَذِيقُهَا الْمُرَجَّبُ ، مِنَ امِيرٍ وَمِنْكُمْ امِيرٌ ، يا مَعْشَرَ قُرْيَشٍ فَكُثُرَ اللَّغْطُ ، وَارْتَقَعَتِ الْأَصْوَاتُ ، حَتَّى فَرَقْتُ مِنَ الْاخْتِلَافِ^(٦٩) .

وبعد تأزم الموقف إلى هذا الحد ، جاء دور عمر بن الخطاب ، فقال : هيهات أن يجتمع اثنان في قرن ، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ولنا الحجة بذلك على من أبى .

فردَ عليه الحباب بن المنذر قائلًا : يا معشر الأنصار أملوا عليكم أمركم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فأنتم أحق بهذا الأمر منهم .

ولكن الأنصار في هذه الأثناء أنقسموا على أنفسهم ، فذهب أسيد بن حضير زعيم الأوس - الذي كان معارضًا لسعد بن عبادة زعيم الخزرج - وأعلن للمهاجرين تأييده لهم ووعد باعطائهم البيعة .

فقام عمر وقال لأبي بكر : أبسط يدك أبايعك ، فباعه عمر وقسم من المهاجرين والأنصار ، وكما يروي البخاري بسنده عن عائشة فإن عمر أخذ البيعة لأبي بكر بتهدیده وتخويفه لهم :

قالَتْ عائِشَةُ : فَمَا كَانَتْ مِنْ خُطْبَتِهِمَا مِنْ خُطْبَةٍ إِلَّا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا ، لَقَدْ خَوَفَ عُمَرُ النَّاسَ وَأَنَّ فِيهِمْ لِيَفَاقًا فَرَدَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكِ^(٧٠) .

وقد قال عمر في زعيم الأنصار سعد بن عبادة الذي رفض المبايعة : وزرنا على سعد بن عبادة فقالَ قائلُ مِنْهُمْ : قَتَّلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ فَقَالَ عُمَرُ : قَتَّلَهُ اللَّهُ^(٧١) .

إلى هذا الحد نسدل الستار على مسرح أحداث السقيفة التي أنهت

(٦٩) صحيح البخاري ص ٥٤٢ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(٧٠) صحيح البخاري ص ١٥ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٧١) صحيح البخاري ص ٥٤٢ ج ٨ ، ص ١٤ ج ٥ .

بعد البيعة لأبي بكر بعد صراع مشهود بين المهاجرين والأنصار على الخلافة ، وقد أعترف عمر بن الخطاب بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة ولكن - على رأيه - وفقاً للشريعة :

فَلَا يَغْتَرَنَّ امْرُواً أَنْ يَقُولَ إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلتَةً وَتَمَّتْ ، إِلَّا
وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَهَا^(٧٢) .

والكل يعلم أن الإمام علياً (ع) وسائر أوليائه من بني هاشم وغيرهم من الصحابة - أمثال الزبير وطلحة وعمار وسلمان والمقداد وأبي ذر وخزيمة ذي الشهادتين وخالد بن سعيد وأبي بن كعب وأبي أيوب الأنباري وغيرهم - لم يشهدوا تلك البيعة ولم يدخلوا السقيفة يومئذ لأنهم كانوا من صرفين بكلهم إلى الخطب الفادح بوفاة الرسول (ص) وقاموا بالواجب من تجهيزه وتشييع جثمانه الظاهر إلى مثواه الأخير ، وقد أبرم أهل السقيفة البيعة لأبي بكر ، فلم يكن بمقدور علي ومن معه أكثر من أن يخالفوا ويمتنعوا عن المبايعة ، كما يظهر ذلك من روایة عمر :

وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللَّهُ نَبِيُّهُ ﷺ إِلَّا أَنَّ الْأَنْصَارَ خَالِفُونَا
وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ فِي سَقِيقَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَخَالَفَ مَنَا عَلَيْهِ الرَّبِّيُّرُ وَمَنْ
مَعَهُمَا^(٧٣) .

ولم يَرِ الإمام علي (ع) للإحتجاج عليهم أثراً إلَّا الفتنة التي كان يفضل أن يضيع حقه على حصولها في تلك الظروف بسبب الفتنة الطاغية التي أحاطت بالإسلام من كل جانب ، فخطرت تهديده بالمنافقين من أهل المدينة وبمن حولهم من الأعراب مردوا على النفاق - كما تنص الآية القرآنية - وقد قويت شوكتهم بفقدده (ص) بالإضافة إلى خطرم سيلمة الكذاب وطلحة بن خويلد الأفاك وسجاح الدجالة ، والروماني والأكسرة والقياسرة وغيرهم من الذين كانوا المسلمين بالمرصاد وغير ذلك من الأخطار التي كانت تهدد الإسلام وجوده ، فكان من

(٧٢) صحيح البخاري ص ٥٤٠ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(٧٣) صحيح البخاري ص ٥٤٠ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

ال الطبيعي أن يضحي الإمام علي (ع) بحقه ولكن دون أن يمحوا حججته في الخلافة ، فأراد الإحتفاظ بحقه في الخلافة والإحتجاج على من آجتهد فيه بالشكل الذي لا يوقع الفتنة التي سينتهزها أعداء الإسلام ، فقد في بيته وتخلف عن المبايعة هو ومن معه مدة ستة شهور . ولما رأى الإمام أن يباعع درءاً للفتنة أرسل^(٧٤) . إلى أبي بكر : أن ائتنا ولالياتنا أحدٌ معك كراهة ليحضر عمر .

ولو أسرع إليهم في المبايعة حين عقدها ، لما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان ، لكنه جمع في مافعل بين حفظ الدين ، والاحتفاظ بحقه في خلافة المسلمين ، فالظروف يومئذ لا تسمح لمقاومة بسيف ولا مقارعة بحجّة ، وتظهر هذه الحقيقة جلياً عندما سعى أبو سفيان إلى علي^(ع) أكثر من مرة يحضره على الاستمساك بحقه في الخلافة قائلاً : « إن شئت لأملاً نهائعليهم خيلاً ورجالاً ، ولأسدناها عليهم من أقطارها »^(٧٥) . ولكن الإمام علي^(ع) كان يرفض هذا النوع من المساعدة في كل مرة لأنّه كان يعلم أنّ ما يقصده أبو سفيان هو إذكاء نار الفتنة وإشعال حرب لا تقوم بعدها للإسلام قائمة .

غضب فاطمة (ع) :

لقد توفيت فاطمة (ع) غاضبة على أبي بكر بسبب حرمانه إياها ميراثها من النبي (ص) :

أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بُنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَتْ أَبَا بَكْرَ الصَّدِيقَ بَعْدَ وَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا ، مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٌ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : لَا نُورُثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً ، فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بُنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ تَرَزُّ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوْفِيَتْ ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَتَةَ أَشْهُرٍ . قَالَتْ : وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرَ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْرٍ وَفَدَكِ

(٧٤) صحيح البخاري ص ٣٨٢ ج ٥ كتاب المغازي .

(٧٥) خلفاء الرسول ص ٤١٨ ط الثامنة .

وَصَدَقَتِهِ بِالْمَدِينَةِ . فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ : لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا
رَسُولُ اللَّهِ يَعْمَلُ بِهِ⁽⁷⁶⁾ .

وقد كان غضبها على أبي بكر عظيماً إلى الحد الذي جعلها توصي علياً أن لا يصلّي أبو بكر عليها ولا حتى أن يمشي في جنازتها ، وقد وارى الإمام علي (ع) جثمانها الطاهر سراً في الليل يقول البخاري في كتاب المغازي :

فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَى أَبِيهِ
بَكْرٍ فِي ذَلِكَ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تُكَلِّمْهُ حَتَّى تُؤْفَيْتُ : وَاعَشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} سِتَّةَ
أَشْهُرٍ ، فَلَمَّا تُؤْفَيْتُ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلَيْهِ لَيْلًا وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَّى
عَلَيْهَا⁽⁷⁷⁾ .

وأرض «فدرك» تلك، هي قرية في الحجاز كان يسكنها طائفه من اليهود، ولما فرغ الرسول (ص) من خير، قذف الله في قلوبهم الرعب ، فصالحوه رسول الله (ص) على فدرك ، فكانت ملكاً لرسول الله (ص) لأنها مما لم يوجف عليها بخيلاً ولا ركاب ، ثم قدمها لابنته فاطمة الزهراء (ع) ، بالإضافة لما ملكه الرسول (ص) من خمس خير وصدقات النبي (ص) ، فكانت هذه كلها ملكاً لرسول الله (ص) خاصةً ولا حق فيها لأحد غيره ...

كانت فاطمة الزهراء (ع) - حسب رأي أبي بكر - قد طالبت بما ليس لها حق فيه . فإنها تكون على واحد من أمرتين لا ثالث لهما : فإما أنها كانت جاهلة لا تدرى بحكم ميراث النبي (ص) ، وإنما أنها كانت كاذبة تطمع بأخذ ما ليس حقها . وكلما الأمرتين مستحيل على الزهراء (ع) التي كان يغضب الله لغضبها وهي سيدة نساء المؤمنين وأهل الجنة وقد طهرها الله تعالى من كل إثم ورجس كما مر سابقاً ، والتي قال فيها رسول الله (ص) :

فَاطِمَةُ بِضَعْةٍ مِنِّي ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي⁽⁷⁸⁾ .

(76) صحيح البخاري ص ٢٠٨ ج ٤ كتاب الخمس .

(77) صحيح البخاري ص ٣٨٢ ج ٥ كتاب المغازي .

(78) صحيح البخاري ص ٧٥ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

وقال لها : يا فاطمة ، لا ترْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةً نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةً نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ (٧٩) .

وقال أيضاً: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة^(٨٠).

وحتى لو سلمنا أن فاطمة (ع) كانت كسائر النساء وليس لها كل تلك المميزات - كما في الروايات أعلاه - فإن كونها ابنة لمعلم البشرية وزوجة لأمير المؤمنين علي الذي شهدوا له بأنه أقضاهم - أي أعلمهم - ينفي عنها أي احتمال لجهل ، ذلك أنه لو كانت فاطمة (ع) تطالب بما ليس حقاً لها - كما رأى أبو بكر - وأن النبي (ص) لا يورث ، فإن أيّاً من أبيها أو زوجها كان الأجرد أن يعلمها بذلك ، بل إن زوجها علياً - أقضاهم باعترافهم - كان سيمنعها عن المطالبة بذلك الإرث لو لم يكن حقها .

ولكن هيئات أن تكون والعياذ بالله كذلك ، فإنَّه لِمَا بَلَغَهَا مِنْ أَبِي بَكْرِ
حَقُّهَا مِنْ فَدْكٍ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى أَبِيهَا بِالْمَدِينَةِ وَخَمْسَ خَيْرٍ ، ذَهَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي
حَشْدِ الْمَهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَخَطَبَتِ فِيهِمْ بِمَا أَجْهَشَ لِهِ الْقَوْمُ بِالْبَكَاءِ ،
فَقَالَتِ فِي جَمْلَةٍ مَا قَالَتْ : « . . . وَأَنْتُمْ الآن تَزَعَّمُونَ أَنْ لَا إِرْثٌ لَنَا ،
وَلَا حَظٌ ، » أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةُ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حَكْمًا لِقَوْمٍ يَوْقُنُونَ » ،
وَبِهَا مُعْشَرُ الْمُسْلِمِينَ ، أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكُوكَ وَلَا أَرْثَ أَبِي ؟ لَقَدْ جَهَّتْ شَيْئًا
فَرِيًّا - ثُمَّ تَلَتْ عَلَيْهِمْ - « . . . وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِيهِ فَلَنْ يَضْرَّ اللَّهُ شَيْئًا ،
وَسِيْجَرِيَ اللَّهُ الشَّاكِرِينَ » إِبْرَاهِيمَ بْنِ قِيلَةَ ! أَهْتَضَمْ مِيرَاثَ أَبِي وَأَنْتُمْ بِمَرَأِيِّ مِنِي
وَمُسْمِعٌ ؟ . . . » - إِلَيْ آخرِ تَلْكَ الْخُطْبَةِ^(٨١) .

إن معنى قول رسول الله (ص) : « لا نورث » لا يعني منع قوانين الميراث على متابع الأنبياء وأملاكهم الدنيوية - كما اجتهد في ذلك أبو بكر - ،

(٧٩) صحيح البخاري ص ٢٠٢ ج ٨ كتاب الاستئذان .

(٨٠) صحيح البخاري ص ٧٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٨١) منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ، مطبعة المدنى ص ٥٠١ .

فقد ورث النبي سليمان داود كما نص القرآن على ذلك في قوله تعالى ﴿ وورث سليمان داود ... ﴾^(٨٢) ، كما أنّ زكريا يدعو الله تعالى أن يرزقه من برثه ، فرزقه يعني : « يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيأ ، يا زكريا إننا نبشرك بفلام اسمه يعني ... »^(٨٣) ، وليس معنى يرثني في الآية السابقة أن يرث النبوة ، لأنّ النبوة ليست بالوراثة ، وبذلك فإنّ معنى قول الرسول (ص) : « لا نورث » - على فرض وجوده - : هو أنّ الأنبياء لن يجمعوا أو يكتسوا الذهب والفضة ، ليكون ميراثاً بعدهم ، كما يفعل الملوك وطلاب الدنيا .

تبليغ : لا بد من توضيح أمرهم ، هو أنّ تختلف علي (ع) عن مبادئ أبي بكر كان بسبب وصية الرسول (ص) له بالإمامية والخلافة لا بسبب حرماني أبي بكر لفاطمة (ع) من ميراثها كما يحلو للبعض أن يبرر تخلفه ذلك ، وإنّ ، فيما السبب الذي يجعل جمعاً من أعلام الصحابة يتخلّفون عن البيعة أيضاً وقد والوا علينا ، وما معنى قول عائشة - كما مر في رواية سابقة - : كراهة لحضور عمر ؟ فعمر لم يكن له أي تدخل في مسألة الخلاف على ميراث فاطمة (ع) ، بينما رأينا كيف كان له الدور الحاسم في إنهاء صراع السقيفية على الخلافة لصالح أبي بكر ، فضلاً عن أن مسألة الميراث لا تعتبر مانعاً أو مبرراً في أي حال من الأحوال لعدم إعطاء الإمام (ع) البيعة لأبي بكر إلا إذا رأى فيه أنه خليفة غير شرعي ، ولو لم يكن الأمر كذلك ، لكان واجباً على الإمام علي أن يبادر إلى البيعة دون تخلف ولو ل يوم واحد ، فكيف إذا كان تخلفه ستة أشهر ؟

﴿ هل المح الرسول (ص) باستخلاف أبي بكر ؟ ﴾

إن بعض الناس يستند باحتجاجه على أحقيّة أبي بكر بالخلافة والماح الرسول (ص) له بذلك ، إلى رواية أخرجها ابن الجوزي بسنده عن علي (ع) : قال : « لما قُبض رسول الله (ص) ، فوجدنا النبي (ص) قد قدم أبو بكر في الصلاة ، فرضينا لدينا من رضي رسول الله (ص) لدينا ،

(٨٢) التحلل : ١٦ .

(٨٣) مریم : ٦ ، ٧ .

فقدَمنا أبا بكر^(٨٤) ، وهذه الرواية فيها كذب صارخ ، فعليًّا (ع) الذي يدعون روایته لهذا الحديث هو الذي خالف أبا بكر ولم يبايعه إلا بعد ستة أشهر وقد تشيع حوله المخالفون من عظماء الصحابة - كما مر - ، وعلى تقدير صحة الرواية فإنه يلزم أن يكون الإمام علي (ع) أول من يبايع . بل إن الرواية تناقض بصورة فاضحة خطب الإمام علي (ع) المعروفة والتي تضج كلها بالشكوى من خلافة أبي بكر واستيلائه عليها .

وبالإضافة إلى تخلف علي (ع) عن مبايعة أبي بكر الذي يكفي وحده لدحض تلك الرواية - هناك دلائل أخرى تؤكّد كذبها منها :

أ - بعثة أُسامة بن زيد التي عقد رسول الله (ص) لواءها بيده الشريفة ، وتحت الصحابة على المسير بها وهو في آخر لحظات عمره الشريف ، وقد كان بين أفراد تلك السرية كبار المهاجرين - أمثال أبي بكر وعمرو وأبي عبيدة - فلو أراد الرسول (ص) أن يستخلف أبا بكر لما جعله بين أفراد تلك السرية .

ب - ولو صحت الرواية أعلاه ، لاحتاج بها أبو بكر نفسه يوم السقيفة على مخالفيه في الوقت الذي كان هو في أمس الحاجة لحجّة يحسم بها ذلك الصراع ، بينما رأيناه يحتاج يومئذ بأن قبيلة قريش هي «أعرب العربان أحباباً» كما مرّ .

ح - وفوق كل ذلك ، فإن هذه الرواية تُدْحِض بالروايات القطعية الثبوت في استخلاف علي (ع) فراجع ما أوردنا في ذلك من نصوص في الصفحات السابقة .

هل ماتت فاطمة (ع) ميّة جاهليّة؟

إن موت فاطمة الزهراء (ع) غاصبة على أبي بكر من دون أن تبايعه ، وقد أوصت بأن لا يصلّي عليها وحتى بأن لا يمشي في جنازتها - انظر الحديث أدناه - يدلّ دلالة قاطعة على ماهية الإمام (أو الأمير) الواجب الطاعة والمقصود في الأحاديث التالية أدناه :

(٨٤) ابن الجوزي : كتاب صفوة الصفوة .

فَقَضِيَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ تَرَأَ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوْفِيَتْ ، وَاعْشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِنَةً أَشَهِرٌ^(٨٥) . فَلَمَّا تُوْفِيَتْ دَفَنَهَا زَوْجُهَا عَلَيْ لَيْلًا وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهَا أَبَا بَكْرٍ وَصَلَى عَلَيْهَا^(٨٦) .

عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّمَا مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْرًا ماتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً^(٨٧) .

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : « مَنْ ماتَ وَلَيْسَ فِي عَنْقِهِ بَيْعَةُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »^(٨٨) .

وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ : « مَنْ ماتَ بِغَيْرِ إِمامٍ ماتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً »^(٨٩) . فَالإِلَامُ (أَوِ الْأَمِيرُ) الْمَقْصُودُ بِالْأَحَادِيثِ الْثَلَاثَةِ أَعْلَاهُ - تِلْكَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَبَيَّنَ وَجْوبُ طَاعَةِ الْإِلَامِ وَأَنَّ مَنْ يَمُوتُ مِنْ دُونِ مَبِيعَتِهِ فَإِنَّ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةَ لَيْسَ حَتَّى أَبَا بَكْرٍ ، لِمَاذَا ؟؟؟

لأنه لو كان أبو بكر هو الخليفة وكان الموت مع مخالفته يعني الموت ميتة جاهيلية ، لكن فاطمة التي يتفق جميع المسلمين على أنها سيدة نساء المؤمنين ، وسيدة نساء الجنة ، والتي يغضب النبي (ص) لغضبها الذي يعني بلا شك غضب الله تعالى على من يغضب عليه ، لأنها عليها السلام من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهرها تطهيرًا ، إذ قال فيها رسول الله (ص) : فاطمة بِضَعَةٍ مِنِّي ، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي^(٩٠) ، بل وقال

(٨٥) صحيح البخاري ص ٢٠٨ ج ٤ كتاب الخمس .

(٨٦) صحيح البخاري ص ٣٨٢ ج ٥ كتاب المغازى .

(٨٧) صحيح البخاري ص ١٤٥ ج ٩ كتاب الفتن .

(٨٨) صحيح مسلم .

(٨٩) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٦ .

(٩٠) صحيح البخاري ص ٧٥ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

فيها أيضاً : فاطمة سيدة نساء أهل الجنة^(٩١) ، تقول إذاً تكون فاطمة (ع) صاحبة هذه المكانة عند الرسول (ص) وعند المسلمين قد ماتت - والعياذ بالله - ميّة جاهلية ، لأنها ما كرّهت من أبي بكر موقفه وتصرّفه معها ومع زوجها فقط ، بل ولقد خرجت من سلطانه لا شبراً واحداً فحسب ، بل أميالاً برفضها إعطاء البيعة له وبغضها عليه وموتها وهي على ذلك ووصيتها بأن لا يصلّي عليها .

نتيجة :

وعليه فإنّ الأئمّة (أو الأمّاء) المقصودين في الأحاديث السابقة والواجبي الطاعة هم ليسوا من خالفتهم فاطمة الزهراء (ع) قطعاً .

فمن هم إذن هؤلاء الأئمّة (أو الأمّاء) الذين طاعتّهم واجبة وعدم مبaitتهم هلاك؟؟

لقد أجاب الرسول (ص) على هذا السؤال حيث قال :
قال : سمعت النبيَّ يَقُولُ : يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا^(٩٢) .
وغيرها كما مر ذلك في نصوص الإمامة السابقة .

رابعاً : استخلاف عمر وببيعة :

لما نزل بأبي بكر المرض دعا عثمان بن عفان وقال له : اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ، أما بعد : فأغمي على أبي بكر ، فكتب عثمان : أما بعد فإنّي استخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم لكم خيراً ، ثم أفاق أبو بكر فقال : أراك خفت أن يختلف الناس أنّ آسلمت نفسي في غشتي ، قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله . وأقرّها أبو بكر من هذا الموضع^(٩٣) .

(٩١) صحيح البخاري ص ٧٤ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٩٢) صحيح البخاري ص ٢٥٠ ج ٩ كتاب الأحكام .

(٩٣) تاريخ الطبرى ، تاريخ دمشق لابن عساكر .

وكما يُروى أنَّ عمر كانت بيده الصحفة التي فيها استخلاف أبي بكر له وكان يقول للناس : « أيها الناس آسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله ، إنه يقول : إنِّي لم أَكُمْ نصَحاً »^(٩٤) .

ويَنْتَهِيُّنَّ أَنَّ أَبَا بَكْرَ كَانَ يَخَافُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ بَعْدَهُ وَالتَّنَازُعِ عَلَى الْخِلَافَةِ ، فَأَوْصَى بَهَا إِلَى عَمِّرٍ وَجَعَلَهَا مَكْتُوبَةً عَلَى صَحِيفَةٍ حَتَّى تَكُونَ حَجَّةً عَلَى النَّاسِ وَلَا يَكُونُ هُنَاكَ فَرْصَةً لِلتَّنَازُعِ فِيهَا .
وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَفْرُضُ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ هُوَ :

أَوْ لَمْ يَفْكُرْ الرَّسُولُ (ص) كَمَا فَكَرَ أَبُو بَكْرَ ؟ أَوْ لَمْ يَخَافْ عَلَى الْأُمَّةِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالتَّنَازُعِ عَلَى الْإِمَارَةِ كَمَا خَافَ أَبُو بَكْرَ ؟

وَكَمْ كَانَ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ حَالِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ دُوَافَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَحَالِهِمْ عَنْ دُوَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، أَلِيَسْ احْتِمَالُ الْاِخْتِلَافِ وَالْفَرْقِ بَعْدَ دُوَافَاتِهِ (ص) كَانَ أَقْوَى وَذَلِكَ لِلأَسَابِبِ الَّتِي ذَكَرْنَا هَا سَابِقًاً مِنْ خَطَرِ الرَّدَّةِ وَالْمَنَافِقِ وَالرُّومَانِ الْمُتَرَبَّصِينِ لِيَغْيِرُوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَنْدَمَا تَحِينُ لَهُمُ الْفَرْصَةُ لِذَلِكَ فَضْلًاً عَنْ خَطَرِ التَّزْعِيْعِ الْقَبْلِيِّ عَنْ الْأَعْرَابِ .

أَوْ لَمْ يَفْطُنْ الرَّسُولُ (ص) إِلَى كُلِّ هَذِهِ الْأَخْطَارِ الْمُتَرَبَّصَةِ بِالْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ كَمَا فَطَنَ أَبُو بَكْرَ ؟

إِنَّهُ لَمَنْ يَعْجَبَ الْعِجَابُ ، فَرَغَمُ كُلِّ النَّصْوصِ الثَّابِتَةِ بِاستِخْلَافِ الرَّسُولِ (ص) لِعَلِيٍّ (ع) - كَمَا مَرَ سَابِقًاً - ، فَقَدْ أَنْكَرُوهَا جَمِيعًا مُحْتَاجِينَ بِأَنَّ الرَّسُولَ (ص) قَدْ جَعَلَ أَمْرَ الْخِلَافَةِ شُورِيًّا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - راجِعُ أَحَدَاثِ السَّقِيقَةِ فَتَرَى بَأَيِّ نُوْعٍ مِنَ الشُّورِيَّةِ تَمَّتْ مَبَايِعَةُ أَبُو بَكْرٍ - ، وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَخْلِفُ عَمَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِنَصْصٍ مِنْهُ وَدُونَ مَشْوَرَةٍ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَيْنَ الشُّورِيَّةُ الَّتِي يَدْعُونَ ؟

وَبِالْطَّبِيعَ فَإِنَّهُمْ يَبْرُرُونَ هَذَا الْمَوْقِفَ بِأَنَّ أَبَا بَكْرَ لَهُ مِنَ الْصَّلَاحِيَّةِ أَنْ يَعِيْنَ

(٩٤) تاريخ الطبرى .

منْ شاء من المسلمين رأى فيه الصلاحية والقدرة بتحمل أعباء الخلافة بالرغم من أنه كان في أشد حالات المرض عند قراره بذلك القرار وكتابته لتلك الوصية والتي أغمي عليه أثناء كتابتها حيث أكملها بدلاً منه عثمان الذي كان يعلم مدى ثقة الخليفتين واحدهما بالآخر، ذلك أن عمر بن الخطاب وقف بذلك الموقف المشهود والحاصل يوم السقيفة في مساعدة أبي بكر على نيل الخلافة. والغريب العجيب أنه لم يقل أحد من الصحابة إنَّ أبا بكر كان يهجر عندما كتب تلك الوصية بالرغم من شدة مرضه وإنماه أثناء كتابته لوصيته كما رموا رسول الله (ص) بتلك الكلمة عندما أمرهم أن يأتوا به كتاب يكتب لهم حتى لا يضلوا بعده، ومنعوه من كتابة وصيته في ذلك الكتاب الذي كان من الممكن أن يحمله الإمام علي (ع) ويستشهد به عليهم كما فعل عمر بذلك الكتاب الذي كتبه له أبو بكر بالخلافة.

خامساً : الشورى وبيعة عثمان :

لما طُعن الخليفة عمر ، قيل له لو آستخلفت فقال : لو كان أبو عبيدة الجراح حيًّا لآستخلفته ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لآستخلفته ، ثم قال لهم : (إن رجالاً يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ، وإن بيعة عمر كانت عن غير مشورة والأمر بعدي شوري)^(٩٥) ثم قال: جعلت أمركم شوري إلى ستة نفر من المهاجرين الأوَّلين ، حيث سماهم قائلاً : (ادعوا لي عليًّا وعثمان وطلحة والزبير عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ، فإذا آجتمع رأي أربعة ، فليتبع الإناث الأربع ، وإذا آجتمع رأي ثلاثة وثلاثة ، فاتبعوا رأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا وأطيعوا . . .)^(٩٦).

ومن الرواية أعلاه يظهر أنَّ الخليفة عمر قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف ، وهذه صورة ثالثة من صور الشورى التي يقولون بها ، وقد أمر الخليفة عمر عبد الرحمن بن عوف أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيفيين - أبي بكر وعمر - بالإضافة إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه .

٩٥) تاريخ الطبرى .

٩٦) تاريخ الطبرى .

وكما كان متوقعاً فقد أنقسم الستة إلى ثلاثة وعشرين مرشحين مما على عثمان ، وقد رفض الإمام علي شرط العمل بسيرة الشيختين قائلاً : « أعمل بكل كتاب الله وسنة نبيه واجتهادي »^(٩٧) بينما وافق عثمان على ذلك الشرط ، فالتالي إلية الخلافة بناءً على ذلك .

وقد أخرج البخاري في صحيحه جزءاً من هذه الحادثة كما يظهر في الرواية التالية .

فقال : ادع لي علياً فدعوتُه فناجاه حتى ابهار الليل . ثم قام عليٌّ من عنده وهو على طماع . وقد كان عبد الرحمن يخشى من عليٍّ شيئاً . ثم قال : ادع لي عثمان فدعوتُه فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح ، فلما صلَّى للناس الصبح واجتمع أولئك الرهط . فلما اجتمعوا شهد عبد الرحمن ثم قال ، أمّا بعد ، يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يبعدون بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبلاً . فقال : أبا يعْنَى على سُنة الله ورسوله والخلفتين من بعده ، فبِأيَّه عَبْدُ الرَّحْمَن ، وبِأيَّه الناس^(٩٨) .

مقتل الخليفة عثمان :

لقد أثير كلام كثير حول مقتل الخليفة عثمان ، وتضاربت الأقوال والروايات في ذلك ، وخصوصاً بما يتعلق بالفتنة التي كانت تحرّض على قتله ، والأسباب التي كانت تدفعهم لذلك الأمر ، وبلغ تلك الأحداث ذروتها بمقتله .

ولكن مهما يكن من أمر ، فإنه كان من الممارسات على صعيد سدة الحكم وتعيين الولاية من أقربائه وصرف الأموال لهم من خزينة الدولة ما أثار ضده ملامة اللائمين وثورات الشائرين ، ونقل حرفياً رأي خالد محمد خالد في ما يتعلق

(٩٧) خلفاء الرسول لخالد محمد خالد ص ٢٧٢ ط الثامنة .

(٩٨) صحيح البخاري ص ٢٣٩ ج ٩ كتاب الأحكام .

بهذه المسألة : (بل لا نكاد نشك في أنَّ عثمان كان يدرك أيضاً أنَّ أكثر الذين رحبوا باختياره للخلافة دون « علي » كرم الله وجهه ... إنما فعلوا ذلك رغبة منهم في الإنفاق من تزَّمت الحياة وتقشف المعيشة اللذين طالت معاناة الناس لهما واللذين كانوا سيفرضان عناءهما من جديد لو تستَّم الأمر على بن أبي طالب بمنهجه الصارم وعده المكين ...)^(٩٩).

وبذلك فقد لعبت أهواء نفر من أقربائه من بنى أمية بمصاير الدولة وبمقاديرها وأموالها العامة . فهذا أبو سفيان يدخل عليه بعد البيعة ويقول له : « يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرا ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة »^(١٠٠) وفي رواية أخرى : « تلقفوها تلقف الكرا فما هناك جنة ولا نار »^(١٠١) .

كل ذلك أدى إلى اعتراف فضلاء الصحابة وخلافهم مع الخليفة عثمان ، من هؤلاء الصحابة أبو ذر الغفاري ، عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر الذين وقف منهم الخليفة موقفاً متشدداً .

فاما أبو ذر فقد لاقى النبي إلى الربذة عقاباً له من الخليفة عثمان بسبب اعترافه على معاوية - والي الخليفة عثمان على الشام - في كنزه للذهب وتبذيره للمال على حساب بيت مال المسلمين :

مَرَرْتُ بِالرَّبَذَةِ فَإِذَا أَنَا بِأَبِي ذِرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَلْتُ لَهُ : مَا أَنْزَلْتَ مَنْزَلَكَ هَذَا؟ قَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ فَاخْتَلَقْتُ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ فِي - وَالَّذِينَ يَكْتُرُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ - قَالَ مُعَاوِيَةُ : نَزَّلْتُ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ . قَلْتُ : نَزَّلْتُ فِينَا وَفِيهِمْ . فَكَانَ يَبْيَنِي وَيَبْيَنُهُ فِي ذَلِكَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْكُونِي ، فَكَتَبَ إِلَيَّ عُثْمَانُ : أَنْ أَقْدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَدِمْتُهَا : فَكَثُرَ عَلَيَّ النَّاسُ حَتَّىٰ كَانُوكُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَبْلَ ذَلِكَ . فَذَكَرْتُ ذَلِكَ

(٩٩) خلفاء الرسول ص ٢٧٦ ط الثامنة .

(١٠٠) تاريخ الطبرى ، المسعودى ، ابن الأثير ، الإستيعاب .

(١٠١) ابن الأثير ، المسعودى ، تاريخ الطبرى .

لِعُثْمَانَ فَقَالَ لِي : إِنْ شِئْتَ تَحْجَبْتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا . فَذَاكَ الَّذِي أَنْزَلَنِي هَذَا
الْمَنْزَلَ ، وَلَوْ أَمْرُوا عَلَيْهِ حَبَشِيًّا لَسِمِعْتُ وَأَطَعْتُ^(١٠٢) .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْعُودَ صَاحِبِ بَيْتِ الْمَالِ فِي الْكُوفَةِ ، فَقَدْ لَاقَ كُسْرًا
فِي أَضْلَاعِهِ^(١٠٣) بَعْدَ أَنْ ضَرَبَهُ غَلَامُ عُثْمَانَ عَقَابًا لِهِ بِسَبِّ اعْتِرَاضِهِ عَلَى
الْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةِ بْنِ أَبِي مُعِيطٍ - أَخِي الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ لِأَمْهَ وَوَالِيهِ عَلَى الْكُوفَةِ بَعْدَ أَنْ
عَزَّلَ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ عَنْهَا - لِأَخْذِهِ مَالًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ دُونَ إِرْجَاعِهِ .

وَأَمَّا عَمَارُ بْنُ يَاسِرَ فَقَدْ لَاقَ الْفَتْقَ مِنْ جَرَاءِ الضُّربِ الشَّدِيدِ مِنْ غَلَامِ
عُثْمَانَ عَقَابًا لِهِ بِسَبِّ عَمَلِهِ بِوَصِيَّةِ ابْنِ مُسْعُودٍ بِأَنْ يَصْلِي عَلَيْهِ وَيُوَارِي جَثْمَانَهُ
دُونَ عِلْمِ الْخَلِيفَةِ حَتَّى لا يَصْلِي عَلَيْهِ^(١٠٤) .

وَغَيْرُ ذَلِكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوَاقِفِ الَّتِي كَانَ سَبِيلًا تَصْرِيفُ أَقْرَبَاءِ الْخَلِيفَةِ
عُثْمَانَ مِنْ بَنِي أُمِّيَّةِ وَتَبْذِيرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الدُّولَةِ الْعَامَةِ لَا سِيمَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ
الَّذِي أَخْذَ وَحْدَهُ خَمْسَ خَرَاجَ افْرِيقِيَا ، وَلَا عَجَبٌ فِي ذَلِكَ ، فَقَدْ كَانَتِ الْعَنَائِمُ
وَالْأَمْوَالُ تَدْفَقُ عَلَى خَزِينَةِ الدُّولَةِ كَالْمَاءِ الْمُنْهَرِ وَيَعُودُ ذَلِكَ لِبَلُوغِ الْفَتوَحَاتِ
آمَادًا بَعِيدَةً زَمَانَ الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ .

وَقَدْ كَانَ لِاعْتِرَاضِ أَمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ عَلَى الْخَلِيفَةِ عُثْمَانَ وَغَضِبَهَا مَا
عَمِلَ عَلَى ازْدِيادِ ثُورَةِ الثَّائِرِينَ وَارْتِفَاعِ صَوْتِ الْمُعَارِضِينَ بِتَحْرِيَضِهَا عَلَى قَتْلِ
الْخَلِيفَةِ وَاتَّهَامِهِ بِتَغْيِيرِ سَنَةِ النَّبِيِّ^(ص) (ص) بِقَوْلِهَا : «أَقْتَلُوا نَعْثَلًا فَقَدْ كَفَرَ»^(١٠٥) وَقَدْ
اَنْتَهَىَتْ هَذِهِ الْكَلْمَةُ مِنْ فَمِ أَمِّ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَشَرَتْ بَيْنَ النَّاسِ اِنْتَشَارَ النَّارِ فِي
الْهَشِيمِ ، فَأَجَمَعَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَصَلَوُا مِنْ مَصْرِ
وَالشَّامِ وَالْكُوفَةِ فَقَتَلُوهُ .

(١٠٢) صحيح البخاري ص ٢٧٨ ج ٢ كتاب الزكاة .

(١٠٣) البلاذري في أنساب الأشراف ، الواقدي ، تاريخ اليعقوبي .

(١٠٤) شرح ابن أبي الحديد ، تاريخ اليعقوبي .

(١٠٥) الطريج ٤ ص ٢٧٧ ط القاهرة ١٣٥٧ هـ ، والنهاية لابن الأثير وغيرها .

بيعة الإمام علي (ع) :

بعد مقتل الخليفة عثمان ، تهافت الناس على الإمام علي (ع) يطلبون يده للبيعة ، فقالوا له : إن هذا الرجل قد قُتل ، ولا بد للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك ، وتمت البيعة .

ولما أراد الإمام علي (ع) أن يقيم العدل بين الناس فيجعل الضعيف يساوي القوي لا فرق بينهما ، وأن يقيم الحدود التي أنزلها الله في كتابه ، عارضه بعضهم ، وقاموا ضده وأثاروا الفتنة وسيراوا الجيوش ، معلنين العصيان والتمرد على خليفة المسلمين وإمامهم الواجب الطاعة ، وكان ذلك في موقعتين حاسمتين هما الجمل وصفين .

سادساً : موقعة الجمل وخروج أم المؤمنين :

عندما علمت أم المؤمنين بمقتل الخليفة عثمان ومباعدة الناس لعلي (ع) قالت لمن أخبرها بذلك وهو عبيد الله بن كلاب : « والله ليت هذه آنطبقت على هذه أن تمّ الأمر لصاحبك ، ويحك انظر ما تقول ؟ !! » فقال لها عبيد : هو ما قلت لك يا أم المؤمنين ، فولولت ، فقال لها : ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف أحداً أولى لها منه ، فلماذا تكرهين ولايته ؟ وصاحت أم المؤمنين : رذوني . رذوني . فانصرفت إلى المدينة وهي تقول : قُتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبنّ بدمه ! فقال لها عبيد : ولم ؟ فوالله أول من أمال حرفه لأنّت ، فقد كنت تقولين : أَقْتُلُو نَعْثَلًا فَقَدْ كَفَرَ ، قالت : إِنَّهُمْ أَسْتَابُوهُ ثُمَّ قُتْلُوهُ ، وَقَدْ قُلْتَ وَقَالُوا ، وَقَوْلِي الْأَخِيرُ خَيْرٌ مِّنْ قَوْلِي الْأَوَّلِ ، فَانْصَرَفَتْ إِلَى مَكَةَ فَنَزَّلَتْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ وَأَجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عُثْمَانَ قُتْلَ مُظْلِومًا وَالله لا طلبه بدمه (١٠٦) .

وقد وافق غضب أم المؤمنين عائشة غضب طلحة والزبير بعد أن استردَ الإمام علي (ع) عهد ولائي اليمن والبحرين منها ، فنكثا عهديهما للإمام علي (ع) ، وذهبا إلى مكة يحثان أم المؤمنين على السير إلى قتال علي ، فخرجا

(١٠٦) الطبرى ج ٥ ص ١٧٢ وطبعة اوروبا (١/٣١١٢ - ٣١١١) وابن الأثير وابن سعد .

وقد سار معهم جيش كبير بقيادة أم المؤمنين متوجهين نحو البصرة حيث دارت رحى معركة عُرفت باسم «معركة الجمل» ، وقد كان الظفر فيها بجانب جيش الإمام وقتل فيها طلحة والزبير وثلاثة عشر ألف من المسلمين ، كل ذلك لأن أم المؤمنين ترید أن تقتص من قتلة عثمان - كما ببررت خروجها - والذين ادعت اندسائهم في جيش الإمام ، ومهما يكن من أمر ، أَوْلَمْ يكن الأجرد بها أن تسلم هذا الأمر إلى ولی الأمر؟ وما هي وذاك؟ فعثمان رجل منبني أمية وعائشة من تیم . إلا إذا كان لخروجها سبب آخر غير ذلك !؟

وقد أخبر الرسول (ص) بهذه الفتنة - التي حدثت من جراء خروج أم المؤمنين التي أمرت أن تلزم بيتها «وقرن في بيونتن ولا ...»^(١٠٧) - فقد :
 قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال : ها هنا الفتنة ،
 ثلاثة ، من حيث يطلع قرن الشيطان^(١٠٨) .

وما يرويه عمّار بن ياسر يدل على أنّ من أطاع عائشة بخروجها على الإمام علي (ع) فإن ذلك كان على حساب طاعة الله :

فسمعت عمارة يقول : إن عائشة قد سارت إلى البصرة . ووالله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إيه تطعون أم هي ؟^(١٠٩) .

وقد عُرف عن عائشة غيرتها الشديدة من علي ، فكانت لا تطبق حتى ذكر اسمه :

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة قالت : لما قتل النبي ﷺ وأشتدا به وجعه استدأه أزواجه في أن يمرّض في بيته فأدنه له ، فخرج النبي ﷺ بين رجالين تخطّر جلاه في الأرض ، بين عباس ورجل آخر ،

(١٠٧) الأحزاب : ٣٢ .

(١٠٨) صحيح البخاري ص ٢١٧ ج ٤ كتاب الخمس .

(١٠٩) صحيح البخاري ص ١٧١ ج ٩ كتاب الفتنة .

قالَ عُبَيْدُ اللَّهِ : فَأَخْبَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ فَقَالَ : أَتَذَرِي مِنَ الرَّجُلِ
الْآخَرُ ؟ قَلَّتْ : لَا ، قَالَ : هُوَ عَلَيْهِ^(١١٠) .

ولعل ما سمعت من قول علي لرسول الله (ص) بشأنها في حادثة الإفك
كان سبباً لهذه الغيرة والضغينة^(١١١) .

وقد وصف أمير الشعراء أحمد شوقي غيرة عائشة من خلال أبيات يخاطب
بها الإمام علي (ع) :

ما ذا رمت عليك ربة الجمل
أم غصة لم يتزرع شجامها
كيد النساء موهن الجبال
 وإن تلك الطاهرة المبرأة
ما لم يزل طول المدى من ضعنها

يا جلاً تألى الجبال ما حمل
أنوار عثمان الذي شجامها
ذلك فتق لم يكن بالبال
وإن أم المؤمنين لأمرأة
أخرجها من كنها وسنها

أسطورة عبد الله بن سبأ :

لقد أعتمدنا في ما أوردناه من روایات في « مقتل الخليفة عثمان »
و« حرب الجمل » على روایات موثوقة تنسجم مع واقع الظروف التي أحاطت
بهما الحادثتين . ويفاصل هذه الروایات ، روایات موضوعة وضعها راوٍ واحد ،
ومنه أخذ الكتاب والمؤرخون كافة ، والواضح لتلك المجموعة من الروایات
هو : « سيف بن عمر التميمي البرجمي الكوفي » المتوفى سنة ١٧٠ هـ ، فإنَّ
هذا الراوي وضع أسطورة خرافية بطلها « عبد الله بن سبأ » اليهودي الذي نسبه
إلى صنعاء اليمن وموجز هذه الأسطورة :

« أنَّ هذا الشخص الخرافي عبد الله بن سبأ أظهر الإسلام في عصر عثمان
ليكيد المسلمين ، فتنقل في الحاضر الإسلامي ، مصر ، الشام ، والبصرة
والكوفة ، مبشرًا برجعة النبي (ص) ، وأنَّ علياً هو وصيه . وأنَّ عثمان غاصب
حق هذا الوصي ، فمال إليه وتبعه جماعات من كبار الصحابة والتابعين من أمثال

(١١٠) صحيح البخاري ص ١٣٣ ج ١ كتاب الوضوء .

(١١١) صحيح البخاري ص ٢٥٢ ج ٦ كتاب التفسير .

عمار بن ياسر وأبي ذر و Mohammad bin أبي حذيفة وغيرهم ، واستطاع أن يجيش الجيوش لقتل الخليفة عثمان حتى قتلوا في داره ، وهكذا يسلسل « سيف بن عمر » الحوادث في اسطورته الموضعية حتى ينتهي إلى حرب الجمل حيث يأمر « عبد الله بن سباً » أتباعه بالاندساس في جيشي علي وعائشة دون علمهما ، فيثروا الحرب ، وهكذا وقعت معركة الجمل »^(١١٢) .

هذه الأسطورة الخرافية وضعها « سيف بن عمر » ومنه أخذ جميع المؤرخين ، ثم آشتهرت القصة وأنشرت في كتب التاريخ مدى القرون حتى يومنا هذا ، حتى أصبحت من الحوادث الشهيرة التي لا يتطرق إليها الشك ، وقد فات معظم الكتاب والمؤرخين من الشرقيين والمستشرقين : أن هذه الأسطورة وضعها راوٍ واحد فرد لا شريك له ، وأن الراوي هذا مشهور عند القدامى من علماء الحديث بالوضع ومتهم بالزندقة ، فقد قال فيه أبو داود : « ليس بشيء ، كذاب » وقال ابن عبد البر : « سيف متزوج وإنما ذكرنا حديثه للمعرفه » وقال فيه النسائي : « ضعيف متزوج الحديث ليس بثقة ولا مأمون » .

وقد أخذ عن هذا الراوي الطبرى وابن عساكر وابن أبي بكر ، ومن الطبرى أخذ سائر الكتاب والمؤرخين إلى يومنا هذا . وهكذا انتشرت الأسطورة في الكتب التاريخية بعد أن رواها الطبرى عن سيف بن عمر وحده .

ومن المعروف أن روایات الأحاداد لا تفید إلاّ الظن العلمي ، ولا تفید بقيناً ، وما بالك إذا كان راويها الواحد هذا غير ثقة بل وقد آشتهر بكذبه وزندقته ، فهل تقبل روايته ؟

وكيف يُقبل أن يُحكم على طائفة كبرى من المسلمين بناءً على رواية أحدٍ ويهمل ما تواتر عن رسول الله (ص) من أحاديث ثبت عكس ما أفترى به ذلك الكذاب سيف بن عمر التميمي ؟؟

وإنه لمن أكبر مهازل التاريخ أن يُنسب التشيع إلى رجل أسطوري هو « عبد الله بن سباً » وبأنه هو القائل بالوصية لعلي مع وجود كل تلك الأحاديث

. (١١٢) أحاديث أم المؤمنين للعلامة العسكري ص ٢٧٢

المحمدية التي ثبتت أن التشيع لم يكن إلا محمدياً لا غير . وراجع نصوص الإمامة في الصفحات السابقة لترى بحق أين محل « عبد الله بن سبأ » فيها من الإعراب .

أَعْبُدُ اللَّهَ بْنَ سَبَأَ الْقَائِلَ : « قَدْ تَرَكْتُ فِيمُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَعَتَرْتَنِي أَهْلَ بَيْتِيْ » ؟

أَعْبُدُ اللَّهَ بْنَ سَبَأَ الْقَائِلَ : « يَكُونُ بَعْدِي إِثْنَا عَشَرَ إِمَامًاً » ؟

أَعْبُدُ اللَّهَ بْنَ سَبَأَ الْقَائِلَ : « مَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهٌ » ؟

وأي مهزلة تلك نقلها من أن رجلاً يهودياً يأتي من اليمن ويعلن إسلامه نفاقاً، ثم يعمل كل تلك الأعمال الخارقة التي تصل إلى حد تسييره للجيوش الإسلامية بعضها ضد بعض دون علم أحد به! أعلى هذه الدرجة من الغفلة كان قادة المسلمين وأئمتهم؟ لا شك أن من يقول بذلك قد ضلل ضلالاً مبيناً . والجدول الآتي يبيّن سلسلة رواة الأسطورة السبئية من واقعها الأول « سيف بن عمر التميمي » إلى رواتها من المتأخرین .

سلسلة رواة الأسطورة السبئية^(١١٣)

مختلفتها سيف بن عمر التميمي المتوفى بعد ١٧٠ هـ

رواته

ابن عساكر (٥٧١ هـ) الطبرى (٣١٠ هـ) الذهبي (٧٤٨ هـ)

ابن الأثير (٦٣٠ هـ) المستشرقون

أبو الفداء (٧٣٣ هـ) ابن كثير (٧٧٤ هـ) دائرة المعارف الإسلامية

ابن أبي بكر (٧٤١ هـ) ابن خلدون (٨٠٨ هـ) ميرخواند (٩٠٣ هـ)

فان فلوتن نيكلسن

ابن بدران (١٣٤٦ هـ) فلها وزن

رشيد رضا (١٣٥٦ هـ) غيث الدين (٩٤٠ هـ) دوايت . م دونالدسون

سعید الأفغاني حسن إبراهيم فريد وجدى احمد أمين

سابعاً : موقعة صفين وتمرد معاوية :

بعد أن تمّ لعلي (ع) الضرر في موقعة الجمل ، توجه الإمام (ع) بجيشه

_____. (١١٣) نفس المصدر السابق ص ٢٧٧ .

لتصفية المعارضة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان في الشام وتلاقي الجيشان عند الفرات ، وقد حاول الإمام إصلاح الموقف بالوسائل السلمية ، إلا أنَّ رد معاوية على الوفد الذي بعثه إليه الإمام كان : « انصرفوا عنِي فليس عندي إلا السيف »^(١٤) . وهكذا آلت حمَّة الجيشان ، وعندما لاحت تبشير النصر لصالح معسكر الإمام (ع) وأوشكت الفئة الباغية على الانهزام ، دَبَّروا « خدعة المصاحف » ، فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف ، مما نجم عن تلك الخطأ الماكيرة تغيير جوهري في الموقف العام ، ومع أنَّ الإمام تصدى لكشف خلقيات رفع المصاحف بأنَّها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (ع) ، إلا أنَّ المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة ، واضطروه إلى قبول التحكيم . ورغم معارضة الإمام الشديدة لإختيار أبي موسى الأشعري حَكْمًا ممثلاً لجيشه في التحكيم لضعفه ووهن رأيه ، وذلك حين قال لهم : « لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه ضعيف عن عمرو ومكائده »^(١٥) بالإضافة إلى موقف أبي موسى الأشعري من حكمة الإمام وخصوصاً بعد أن عزله عن ولاية الكوفة ، مما يجعل الثقة به ضعيفة ، مع ذلك أصرَّ فريق في جيش الإمام (ع) على إيفاد أبي موسى بالذات ، مما يدل على مكيدة وتخطيط سابق هدف إلى رفع المصاحف استغلاً لقدسية القرآن في نفوس المؤمنين والبسطاء ، والتنسيق لذلك مع قاعدة موالية لمعاوية مُنْدَسَّة في جيش الإمام ، وقد وسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (ع) حتى فرضوا عليه التحكيم ، وممثل معسكته في التحكيم في ما بعد ، مما جعل نتيجة التحكيم تأتي - كما توقع الإمام - لصالح معاوية الذي بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً ، بعد أن قام بتمرد الكبير الذي خرج فيه عن طاعة أمير المؤمنين وخليفة المسلمين الواجب الطاعة ، بغياً منه وطمعاً في النعيم الدنيوي الذي طالما حلم به .

وقد أخبر الرسول (ص) ببغى معاوية حينما قال في حق عمر : « تقتلك

(١٤) الغصول المهمة لابن الصبَّاغ المالكي ص ٧٠ .

(١٥) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٩ .

الفئة الباغية » وقد تحقق ما قاله الرسول (ص) عندما أستشهد عمارٌ وهو يقاتل تحت راية الإمام علي (ع) في صفين :

فقال : كُنَا نَقْلُ لِبْنَ الْمَسْجِدِ لِبْنَةً لِبْنَةً وَكَانَ عَمَّارٌ يَنْقُلُ لِبْتَيْنَ لِبْتَيْنَ فَعَرَّبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسَحَ عَنْ رَأْسِهِ الْغَبَارَ . وَقَالَ : وَيَعْ عَمَّارٌ ، تَقْتَلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ . عَمَّارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ^(١١٦) .

وفي مستدرك الصحيحين : بالسند عن خالد العربي قال : « دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، حدثنا ما سمعت من رسول الله (ص) في الفتنة ؟ قال حذيفة : قال رسول الله (ص) : دوروا مع الكتاب حيثما دار . فقلنا : فإذا اختلف الناس فمع من نكون ؟ فقال : انظروا الفئة التي فيها ابن سمية فالزموها فإنه يدور مع كتاب الله ، سمعت رسول الله (ص) يقول لعمار : يا أبا اليقطان لن تموت حتى تقتلك الفتنة الباغية عن الطريق » ^(١١٧) .

ولقد كان بغي معاوية أمراً متوقعاً ، لأنه بعد أن تسلم ولاية الشام منذ عهد الخليفة عمر ، وتمتع بالنعيم والجاه وبالقصور التي بناها وتوسيع بها زمان الخليفة عثمان ، لم يكن من السهل أن يتخلّى عنها ، وكان يعلم يقيناً أن الإمام (ع) إن لم يعزله من الولاية فإنه سيجرّه من جميع ما تملّكه على حساب بيت مال المسلمين ، وأنه سيساويه مع غيره من المسلمين .

وإن حادثته مع أبي ذر زمان الخليفة عثمان لتدل على ما نقول به من تkalبه على الدنيا وتبذيره لأموال الدولة العامة ، وقد أدى اعترافه بأبي ذر على معاوية بأن أمر الخليفة عثمان بنفي أبي ذر إلى الربذة بعد أن استدعاه إلى المدينة .

عن وهبٍ قالَ : مَرَرْتُ عَلَى أَبِي ذَرَ بِالرَّبَذَةِ فَقُلْتُ : مَا أَنْزَلَكَ بِهَذَهُ الْأَرْضَ ؟ قَالَ : كُنَّا بِالشَّاءِمِ فَقَرَأْتُ - وَالَّذِينَ يَكْتُزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا

(١١٦) صحيح البخاري ص ٥٢ ج ٤ كتاب الجهاد .

(١١٧) مستدرك الصحيحين .

يُفْقِنُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشَّرُهُمْ بِعَذَابِ الْيَمِّ - قَالَ مُعاوِيَةً : مَا هَذِهِ فِينَا ، مَا هَذِهِ إِلَّا فِي أَهْلِ الْكِتَابِ ، قَالَ : قُلْتَ : إِنَّهَا لِفَيْنَا وَفِيهِمْ^(١١٨) .

وقد عوقب أبو ذر بالنفي بالرغم من شهادة الرسول (ص) بصدقه عندما قال : « ما أظللت الخضراء ، ولا أقللت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر »^(١١٩) .

وخلق معاوية في الولاية والحكم يظهر جلياً من مقوله أبيه لعثمان بعد عقد البيعة له : « يا بني أمية تلقفوها تلتف الكرا ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة »^(١٢٠) وفي رواية أخرى بزيادة : « فما هناك جنة ولا نار »^(١٢١) وثبتت هذا أنه ما كان دخول هذه العائلة السفيانية في الإسلام إلا نفاقاً بعد أن دخل في الإسلام جميع الناس عند فتح مكة ، ويتأكد ذلك بالرواية التالية التي ذكرها البخاري في صحيحه ، والتي تُظهر أي نوع من الإسلام هذا الذي دخل قلوبهم وهو له كارهون .

« قَالَ أَبُو سُفْيَانَ : وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أُمَّرَةَ سَيَظْهَرُ ، حَتَّى أُدْخِلَ اللَّهُ قَلْبِيَ الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهٌ »^(١٢٢) .

ومن أقوال الرسول (ص) في معاوية ما أخرجه مسلم في صحيحه : « بعث النبي (ص) إليه ذات يوم ابن عباس يدعوه ليكتب له ، فوجده ابن عباس يأكل ، فأعاده النبي (ص) إليه يطلبه ، فوجده يأكل ، إلى ثلاث مرات ، فقال النبي (ص) : لا أشبع الله بطنه »^(١٢٣) .

(١١٨) صحيح البخاري ص ١٤٦ ج ٦ كتاب التفسير .

(١١٩) صحيح الترمذى ، مستند أحمد .

(١٢٠) تاريخ الطبرى .

(١٢١) تاريخ الطبرى .

(١٢٢) صحيح البخاري ص ١٢٢ ج ٤ كتاب الجهاد .

(١٢٣) صحيح مسلم باب من لعن النبي .

(١٢٤) صحيح مسلم كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثة لا نفقة لها .

وفي صحيح مسلم أيضاً ، قال الرسول (ص) : « أما معاوية فجعلوك لا
مال له » (١٢٤) .

وفي مسنـد أـحمد ، قال الرسـول (ص) في معاـويـة وعـمـرـو بـنـ العـاصـ(*):
« اللـهـمـ أـركـسـهـمـاـ فـيـ الـفـتـنـةـ رـكـساـ ، وـدـعـهـمـاـ إـلـىـ النـارـ دـعـاـ » (١٢٥) .

وغير ذلك الكثير من الروايات التي تبيـن حـقـيقـةـ مـعاـويـةـ ، هـذـاـ الـذـيـ خـتـمـ
أـعـمـالـهـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ بـتـنـصـيـبـهـ لـابـنـهـ يـزـيدـ السـكـيرـ الفـاسـقـ خـلـيـفـةـ عـلـىـ الـمـسـلـمـينـ مـنـ
بـعـدـهـ .

ثامناً : استشهاد الإمام علي (ع) :

كـانـتـ آخـرـ مـوـقـعـةـ خـاصـصـهـاـ الإـمـامـ (ع)ـ هيـ مـوـقـعـةـ النـهـرـوـانـ ،ـ التـيـ خـاصـصـ
فـيـهـاـ قـاتـلـاـضـدـ المـجـمـوعـةـ التـيـ فـرـضـتـ التـحـكـيمـ عـلـيـهـ فـيـ صـفـيـنـ ،ـ وـلـكـنـهـاـ نـدـمـتـ
بـعـدـ عـدـّـةـ أـيـامـ ،ـ فـنـكـتـ عـهـدـهـاـ وـخـرـجـتـ مـنـ بـيـعـةـ الإـمـامـ ،ـ وـعـرـفـتـ فـيـ مـاـ بـعـدـ
بـاسـمـ «ـ الـخـوارـجـ »ـ أوـ «ـ الـمـارـقـينـ »ـ .ـ وـقـدـ آـنـتـصـرـ عـلـيـهـمـ الإـمـامـ (ع)ـ ،ـ وـرـاحـ يـتـهـيـأـ
لـاـسـتـشـافـ قـتـالـ الـمـعـارـضـيـنـ فـيـ الشـامـ بـعـدـ أـنـ فـشـلـ التـحـكـيمـ عـنـ الـلـقـاءـ بـيـنـ
الـحـكـمـيـنـ ،ـ بـيـدـ أـنـ الإـمـامـ عـلـيـاـ (ع)ـ أـسـتـشـهـدـ عـلـىـ يـدـ «ـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ مـلـجمـ »ـ ،ـ وـرـاحـ
وـهـوـ أـحـدـ أـفـرـادـ الـخـوارـجـ عـنـدـمـاـ طـعـنـ الإـمـامـ بـسـيفـ وـهـوـ فـيـ سـجـودـهـ ،ـ عـنـدـ صـلـاةـ
الـفـجـرـ ،ـ فـيـ مـسـجـدـ الـكـوـفـةـ ،ـ صـبـيـحـةـ الـيـوـمـ التـاسـعـ عـشـرـ مـنـ رـمـضـانـ سـنـةـ
أـرـبـيعـنـ لـهـجـرـةـ بـعـدـ خـمـسـةـ أـعـوـامـ مـنـ الـحـكـمـ .

وـقـدـ بـقـيـ الإـمـامـ (ع)ـ يـعـانـيـ مـنـ الضـربـةـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ سـمـيـ خـلالـهـ ولـدـهـ
الـحـسـنـ السـبـطـ (ع)ـ الإـمـامـ بـعـدـهـ لـيـمـارـسـ مـسـؤـلـيـاتـهـ فـيـ قـيـادـةـ الـأـمـةـ .

الـإـمـامـ الـحـسـنـ (ع)ـ وـصـلـحـ مـعاـويـةـ :

بعـدـ اـسـتـشـهـادـ الإـمـامـ عـلـيـ (ع)ـ ،ـ آـعـتـلـىـ الإـمـامـ الـحـسـنـ (ع)ـ الـمـنـبـرـ
وـنـهـضـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ فـبـايـعـهـ خـلـيـفـةـ للـنـبـيـ (ص)ـ وـإـمـامـاـ لـلـأـمـةـ ،ـ إـلـاـ أـنـ ذـلـكـ لـمـ

* لم يذكر أـحـمـدـ اـسـمـيهـمـاـ فـالـلـفـظـ عـنـدـهـ فـلـانـ وـفـلـانـ ،ـ وـتـجـدـ اـسـمـيهـمـاـ فـيـ تـارـيـخـ الـطـبـرـانـيـ
بـسـنـدـهـ عـنـ اـبـنـ عـبـاسـ .

(١٢٥) مـسـنـدـ أـحـمـدـ .

يُدَمِّرُ سُوئِ ستةً أَشْهُرًا، إِذَعِنَدَمَا وَصَلَ إِلَى الشَّامَ نَبَأَتْ شَهادَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ (عَ)، تَحْرُكَ معاوِيَة بِجَيْشٍ كَبِيرٍ نَحْوَ الْكُوفَةِ لِيَأْخُذَ بِيَدِهِ زَمَانَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَجْرِي الْإِمَامُ
الْحَسَنُ بْنُ عَلَيْهِ (عَ) عَلَى الصلْحِ .

وَلَمْ يَجِدِ الْإِمَامُ الْحَسَنُ (عَ) مَنَاصًا مِنَ الْمُسَالَّمَةِ، وَعِنْدَهُ هَذِهِ رَمِّيَّةٌ
البعضُ شُكُوكًا حَوْلَ صَلْحِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَ) فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَخْتَارَ فِيهِ أَخُوهُ
الْحَسَنِ (عَ) طَرِيقَ الْحَرْبِ وَالْقَتْالِ؟

إِنَّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عَ) لَمْ يَعْقُدْ مِيثَاقَ الصلْحِ مَعَ معاوِيَةَ، بَلْ فَرِضَ
عَلَيْهِ، فَقَدْ كَانَ تَفَكُّكُ جَيْشِهِ، وَلَمْ يَكُنْ وَضْعُ الْعَرَاقِ الدَّاخِلِي مَلائِمًا لِلْحَرْبِ،
وَكَانَتِ الْإِمْپِرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ تَتَحَمَّلُ الفَرَصَةَ لِضُربِ الْإِسْلَامِ وَكَانَتْ قَدْ تَاهَبَتْ
بِجَيْشٍ عَظِيمٍ لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَتْ نَشَبَتْ حَرْبٌ بَيْنَ معاوِيَةَ وَالْإِمَامِ
الْحَسَنَ، لَكَانَ الْمُتَتَصِّرُ فِيهَا حَتَّىَ امْبَاطُورِيَّةِ الرُّومِ وَلَيْسَ الْإِمَامُ الْحَسَنُ (عَ)
وَلَا معاوِيَةَ .

وَهَكُذا إِنَّ الْإِمَامَ الْحَسَنَ (عَ) بِقَبْولِهِ السَّلَامَ قَدْ أَزَالَ خَطَرًا كَبِيرًا كَانَ
يَهدِّدُ الْإِسْلَامَ، وَعَلَى الْعُوَمِ فَإِنَّ الْأَجْوَاءِ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَ)
كَانَتْ غَيْرَ تَلِكَ السَّائِدَةِ فِي عَصْرِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَ) الَّذِي أَخْتَارَ فِي مَا بَعْدِ
طَرِيقَ الثُّورَةِ وَالْقَتْالِ الَّتِي مَهَّدَهَا لَهُ أَخُوهُ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَ) بِتَدَابِيرِهِ وَبِانْجَلَاءِ
حَقِيقَةِ الْمُلُوكِ الْأَمْوَيِّينَ فِي زَمَانِهِ .

وَأَمَّا بَنُودُ مُعَاهَدَةِ الصلْحِ فَكَانَتْ كَمَا يَلِي :

- ١ - يَسْلُمُ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيْهِ (عَ) الْحُكُومَةَ وَأَرْمَمَةَ الْأَمْوَارِ إِلَى معاوِيَةِ عَلَى شَرْطِ أَنْ
يَعْمَلْ معاوِيَةَ وَفَقَ مَبَادِئِ الْقُرْآنِ وَسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ (صَ) .
- ٢ - تَكُونُ الْخِلَافَةُ بَعْدَ مَوْتِ معاوِيَةِ حَقَّاً خَاصَّاً بِالْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَ)، وَإِذَا
حَدَثَ لَهُ حَادِثٌ فَإِنَّ الْخِلَافَةَ سَتَكُونُ لأخِيهِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (عَ) .
- ٣ - تَمْنَعُ الشَّتَّائِمِ وَكَافَةِ الإِسَاءَتِ ضِدَّ الْإِمَامِ عَلَيْهِ (عَ) سَوَاءً عَلَى الْمَنَابِرِ أَوْ
غَيْرِهَا . (فَقَدْ كَانَ معاوِيَةَ أَمْرَ الْخُطَبَاءِ فِي جَمِيعِ الْوَلَايَاتِ بِشَتْمِ عَلِيِّ
وَالْحَسَنِيْنَ وَابْنِ عَيَّاسٍ فِي كُلِّ خُطْبَةِ جَمْعَةٍ وَعِيدٍ، وَلَمْ يَنْفَذْ معاوِيَةَ تَعْهِدَهُ

هذا ولا سواه مما نصت عليه الاتفاقية) .

٤ - ينفق مبلغ الخمسة ملايين درهم الموجودة في بيت المال بالكوفة تحت إشراف الإمام الحسن (ع) ، ويجب على معاوية أن يرسل سنوياً مليون درهم من الخراج إلى الإمام الحسن (ع) ليوزعها على عوائل أولئك الذين استشهدوا في معركتي الجمل وصفين إلى جانب الإمام علي (ع) .

٥ - يتعهد معاوية بأن يدع الناس قاطبة من أي جنس وعنصر في منأى من الملاحقة والأذى ، ويتعهد أيضاً أن ينفذ بنود هذا الصلح بدقة ويجعل الملة عليه شهيداً .

تاسعاً : استشهاد الإمام الحسن (ع) :

قام معاوية بتحريض (جعدة بنت الأشعث بن القيس) زوجة الإمام الحسن (ع) ، التي كانت تُنسب إلى إحدى الأسر المخالفة للعلويين ، مرسلة إليها مائة ألف درهم ، ووعدها أن يزوجها بابنه يزيد إذا ما دست السم للحسن بن علي (ع) . وقد خدعت الزوجة المجرمة بوعود معاوية الجوفاء ، ودست السم للإمام ، وكان ذلك سنة ٥٠ هـ ، وفرح معاوية فرحاً شديداً عندما علم باستشهاد الإمام الحسن (ع) . إذ كان يرى أن أكبر عقبة بوجه مآربه - وخصوصاً توطيد الحكم للأسرة الأموية - قد زالت من الوجود .

عاشرأً : ثورة كربلاء وأستشهاد الإمام الحسين (ص) :

والإمام الحسين بن علي (ع) هو ثالث أئمة أهل البيت ، وإن أهم حدث في حياته كان التضحية والدفاع واستشهاده مع أبنائه وأهل بيته وأصحابه في كربلاء ، في واقعة هزّت العقول والأفكار وسُجلت في صفحات التاريخ ولا تزال باقية وثابتة إلى الأبد .

وإن أوضح سبب لثورة الإمام الحسين (ع) هو الانحرافات التي ظهرت آنذاك في الحكم الأمويين وسطوتهم على رقاب الناس . فقد قام معاوية طيلة العشرين سنة من حكمه بتوطيد آستانه «الخليل» يزيد وتقسيمه ليجعل منه أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول الله (ص) على المسلمين ، وقد خالف بذلك معاهدته مع الإمام الحسن (ع) ، ونقض كل عهد عاهد الله عليه .

فقد كان يزيد^(*) - بـأعتراف جميع فرق المسلمين - يحتسي الخمر علانية ، ويشرب حتى الثمالة في السهرات الحافلة ، وينشد أشعاراً ضحالة نذكر منها :

شغلتني نغمة الديدان عن صوت الأذان وتعوّضت عن الحور عجوزاً في الدنان
ولا غرابة في ذلك ، فقد تربى يزيد على يد مربية مسيحية ، وكان شاباً
أهوج ، خليعاً ، مستبداً ، متوفياً ، ماجنا ، قصير النظر وفاقداً للحيطة كما يصفه
المؤرخون .

وبعد وفاة الحسن (ع) في سنة خمسين للهجرة ، قامت الشيعة في العراق بمحاولة تحرر ، وشرعت بمراسلة الحسين (ع) ، طالبة منه أن يعزل معاوية عن إمرة المسلمين ، ولكن الإمام الحسين (ع) ذكر في جوابهم أنَّ له مع معاوية عهداً وميثاقاً لا يستطيع نقضهما .

وترى يزيد على سدة الحكم بعد موت معاوية سنة ستين للهجرة ، فكان بلاطه بؤرة المجنون والإثم ، وفي هذه الحالة ، رأى الإمام الحسين (ع) لا أنَّ الظروف مؤاتية فقط ، بل موجبة أيضاً للإنتفاضة والثورة ، من أجل إنقاذ الإسلام والسنن الدينية ، لا من أجل الاستيلاء على الخلافة والسلطة ، التي كانت حظوظ بنى أمية في المحافظة عليها أوفر ، وخصوصاً بعد نكوص أهل العراق ورهبتهم من الأمويين .

ويصرَّح الإمام الحسين (ع) في إحدى خطبه بالقرب من كربلاء عن سبب انتفاضته بقوله : «أيها الناس ، من رأى إماماً جائراً يحل حرمات الله وينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويخالف سنة نبيه ، ويحكم بين عباد الله بالإثم والجور ولم ينكِّر بلسانه وعمله ، كان حقاً على الله أن يکبه معه في النار» وكذلك قوله : «أيها الناس ، إنَّهم أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن ، وأفسدوا في الأرض وعطلوا السنن وأستأثروا ببيت أموال المسلمين وحللوا

حرمات الله ، وحرموا ما أحلمه الله ، وأنا أحق الناس بالإنكار عليهم » .

وجمع أصحابه وأهل بيته الذين كانوا بصحبته ، وصارحهم بالنكوص والارتداد الذي حصل في الكوفة ، ثم قال لهم : « قد خذلنا شيعتنا ، فمن أحب أن ينصرف ، فلينصرف ، فليس عليه منا ذمام » .

ومع ذلك بقي الإمام الحسين (ع) مصراً على قراره ، وبنفس العزيمة التي انطلق بها من مكة المكرمة ، وليس معه سوى أصحابه وأخواته وأبناء عمومته ولا يتتجاوز عددهم ثمانين وسبعين ، وهناك قال كلمته التاريخية الخالدة :

إن كان دين محمد لم يستقم

إلا بقتلي ، يا سيف خذيني

والتقى بجيش يزيد بن معاوية الذي كان قوامه اثنين وثلاثين ألفاً بقيادة الحربن يزيد الرياحي ، وكان طبيعياً أن تُتمكن القوة جيشبني أمية من قتل هذه الفئة القليلة العدد ، وقد تجسدت في ذلك اليوم مأساة أهل البيت ومظلوميتهم المؤلمة ، وكأن يزيد بن معاوية في هذه المأساة كان يدفع الأجر الذي سأله رسول الله (ص) : « قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربي » .

ولقد حدث التاريخ عن مشاهد وصور مأساوية يصعب على أحد وصفها . . . ومن ذلك مأساة طفل رضيع هو عبد الله ابن الإمام الحسين (ع) ، الذي حمله الإمام إلى المعسكر الأموي يطلب له الماء بعد أن حالوا بين مخيم الحسين (ع) وبين ماء الفرات ، وأخذ منهم العطش مأخذـه . . . حمله يطلب له الماء ويحرّك ضمائـرـهم ويثير إحساسـهم الإنسـاني ، فـما كانـ منهم إـلاـ أن صـوـبـواـ سـهـمـاـ نحوـ الرـضـيـعـ فـأـرـدوـهـ قـيـلـاـ . . . وـأـسـتـمـرـ تـسـاقـطـ الشـهـداءـ منـ أـصـحـابـ الحـسـينـ ، وـأـهـلـ بـيـتـهـ الـواـحـدـ تـلـوـ الـآـخـرـ . . . وـكـانـ الحـسـينـ (ع) آخرـ منـ استـشـهـدـ فيـ تـلـكـ المـعرـكـةـ الـحـاسـمـةـ . . . وـلـمـ يـكـفـواـ بـقـتـلـ سـيـدـ شـيـابـ أـهـلـ الجـنـةـ بلـ اـحـتـرـأـ رـأـسـهـ وـفـصـلـوـهـ عـنـ جـسـدـهـ ، وـحـلـ رـأـسـ الـحسـينـ وـرـؤـوسـ أـصـحـابـ هـدـايـاـ يـقـتـسـمـهاـ الـقـتـلـةـ ، وـيرـفـعـونـهاـ مـتـوجـهـينـ بـهـاـ إـلـىـ يـزـيدـ بـنـ مـعاـوـيـةـ فيـ الشـامـ ذـاكـ الـذـيـ نـعـتـهـ بـعـضـ الـمـسـلـمـينـ «ـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ »ـ ، فـلـاـ حـوـلـ وـلـ قـوـةـ إـلـاـ بـالـلـهـ . . . !

إن الأحداث والواقع والمواقف التي سردناها والتي أجمع عليها رواة المسلمين جميعاً من سنة وشيعة ، تبيّن بوضوح الأهداف السامية التي من أجلها قام الحسين (ع) بانتفاضته ، ومع ذلك ، ورغم الفساد والجهل والضلالة الصارخ ورغم المنكر الشائع الذي يجب دفعه باليد واللسان والقلب ، فقد وجد من ينتقص من قيمة هذه الثورة العظيمة لوقوعهم ضحية الأعلام الأموي المُضلّل الذي حاول جاهداً تزوير التاريخ ، ولو قواعدهم ضحية التعصب المذهبي المقيت أيضاً ، ظهرت أحكام معيبة وأقوال مشينة حول ثورة من قال فيه النبي (ص) بإجماع المسلمين أنه سيد شباب أهل الجنة ، كقول ابن تيمية مثلاً إن الإمام الحسين (ع) بثورته قد خرج عن طاعة ولِيَ أمر المسلمين وأنه قد أثار فتنة في أمّة الإسلام أيضاً . ولو سألنا شيخ الإسلام هذا عن خروج معاوية عن طاعة الإمام علي (ع) ، لكان جوابه بأنَّ ذلك كان فتنة وقعت بينهما ولا ذنب لهما فيها .

وما هذه إلَّا صورة من صور محاولات التمويه والتزييف المكشوف في التاريخ الإسلامي . وإلَّا فكيف يُفسّر تجاهل بعض المسلمين لهذه المأساة التاريخية ، التي يُقتل فيها أبناء رسول الله (ص) بأبشع ما يكون من صُور القتل والتعذيب؟ وليس هذه فقط ، فقد سار على نهج معاوية وابنه يزيد سائر ملوك بني أمية في قمعهم لأي حركة معارضة لسلطانهم ، وخاصة آل البيت النبوى الذين كانوا ملاحقين دائمًا بالإضطهاد والتشريد والتقتيل والتعذيب .

وقد كان جورهم على آل البيت وغير آل البيت ، وكان لهم ضحايا في كل ميدان يُحتمل أن يكون لهم فيه منافس على سلطانهم الدنوي وملكتهم الكسروي ، فقد سجل التاريخ - مثلاً - ذلك المشهد المأساوي الذي ذُبِحَ فيه عبد الله بن الزبير وسلخ في الحرم المكي الذي كانت حتى الجاهلية تقదسه وتعظمه ولا تستطيع فيه دماء الوحش فضلاً عن البشر ، ولم تشفع لابن الزبير الكعبة التي تعلق بستائرها عند حكام بني أمية وكيف يكون عندهم لبيت الله كرامة وهو الذين رموا الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان الذي أطلق العنان ليد طاغيته الحجاج يقتل ويذبح الناس بغير حق ، والذي قال فيهما

الحسن البصري : « لو لم تكن لعبد الملك سيدة سوى الحجاج لكتفته » ، وقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز : « لو جاءت كل أمة بطاغيتها وجئنا بالحجاج لغلبناهم » ، فضلاً عن القصة المشهورة بتمزيق الوليد بن عبد الملك لكتاب الله !! فهل هذه الأعمال تؤهل صاحبها أن يكون مسلماً ، فضلاً عن أن يكون خليفة المسلمين وأمير المؤمنين ؟

لا شك أننا بحاجة اليوم إلى إعادة النظر في تاريخنا الإسلامي وإمعان النظر في كثير من الحوادث فيه ، واستنطاقها لما لها من ارتباط وثيق بواقع حياتنا المعاصرة ، ولن يكون حكمنا على هذه الطائفة أو تلك بعيداً عن الظلم أو التجني ، لأنه بسبب تلك الحوادث أنقسم المسلمين إلى طائفتين وشيع متباينة كل منها تدعى أنها الطائفة الناجية ، وليس لأحد أن يتذكر وحيا من السماء لينزل عليه ويخبره باسم هذه الطائفة الناجية ، وقد أعطانا الله تعالى جل جلاله عقلاً لتميز به الخبيث من الطيب ، ونهانا عن التقليد الأعمى وتبهنا ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثراهم للحق كارهون ﴾ ، وحدّرنا من الأخذ بدعوى كل من هب ودب : ﴿ إن جاءكم فاسق بناً فتيّنا أن تصيّروا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ .

الشوري بين المبدأ والتطبيق :

لقد حاول بعض المخالفين تفنيـد نصوص إمامـة أهـلـ الـبـيـتـ بـدـعـوىـ أنـ إـمامـةـ الـمـسـلـمـينـ قدـ جـعـلـتـ بالـشـورـىـ ،ـ وـأـسـتـدـلـواـ بـآـيـتـيـنـ مـنـ كـتـابـ اللهـ :

أما الآية الأولى فهي : ﴿ وأمرهم شوري بينهم ﴾^(١٢٦) فهذه الآية لا تدل على مطلق أمر الشوري في جميع شؤون المسلمين ، ذلك أن التشاور لا يصح في أمر ورد فيه نص من الله ورسوله : ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾^(١٢٧) . وإنما ، فهل يجوز التشاور في عدد ركعات الصلاة - مثلاً -

(١٢٦) الشوري : ٣٨ .

(١٢٧) الأحزاب : ٣٥ .

أو غيرها من الأحكام التي ورد فيها نص ، وقد بينا ما ورد عن رسول الله (ص) من نصوص في الإمامة لا يبقى معها مورد للتشاور .

وأما الآية الثانية فهي : « وشاورهم في الأمر »^(١٢٨) ، إن هذه الآية قد وردت ضمن سلسلة من آيات في سورة آل عمران كلها في أمر غزوات الرسول (ص) : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضوا من حولك فأعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحبُّ المتكلّمين » ، وفيها يظهر جلياً أن المقصود من الأمر بالمشاورة في هذه الآية إنما هو الملاينة معهم والرحمة بهم ، لا أنه مأموم بالعمل برأيهم ، بل يقول له إذا عزمت فتوكل وأعمل برأيك ؛ ويظهر أن مقام المشاورة الراجحة إنما هو في الغزوات ، وستجد مثلاً على هذه المشاورة في الفصل الرابع عندما استشار الرسول (ص) أصحابه بشأن القتال في موقعة بدر .

وإذا سلمنا جدلاً بأن حكم خلافة النبي (ص) هو بالشوري ، فإننا نسأل :

ما هي صيغة هذه الشوري وما هي طريقة تطبيقها ؟
وما حكم الخليفة الذي يصل إلى الحكم وقد تجاوز مبدأ الشوري ؟
وكيف طبق الخلفاء هذه الشوري ؟

ثم : لننظر كيف وصل كل من الخلفاء الأوائل إلى الحكم :

١ - خلافة أبي بكر :

إن الطريقة التي تم فيها تنصيب أبي بكر ومبaitعه ، قد وصفها عمر بن الخطاب بأنها - كما مر - كانت فلتة ، ولكن الله وقى شرها .

وقد رأينا تاجر المهاجرين والأنصار على الخلافة ، وقد أحتجَّ الأنصار بحقّيتهم للخلافة بناءً على أصلهم وعراقتهم في زعامة المدينة ومناصرتهم الكبيرة للإسلام ، وكان احتجاج المهاجرين بأنهم الأعرق أحساباً . وقد أفترج

(١٢٨) آل عمران : ١٥٩ .

أبو بكر أن تكون الإمارة مع المهاجرين والوزارة مع الأنصار ، فرد الأنصار على اقتراحه بأن يكون لكل من الفتّين أمير بقولهم «منا أمير ومنكم أمير» ، وقد رأينا كيف أنّقذ عمر الموقف بأخذته لهم بالشدة وإعطاء البيعة لأبي بكر ، في الوقت الذي كان فيه الإمام علي وسائر أقرباء النبي (ص) غير حاضرين وبذلك فإنه لم تُعط لأهل بيت النبي (ص) الفرصة في الترشيع أو حتى مجرد إبداء الرأي .
فأين الشورى في ذلك كله ؟ !

٢ - خلافة عمر :

إن الطريقة التي وصل بها عمر إلى دفة الحكم كانت بناءً على وصيّة كتبها أبو بكر وهو في مرضه الأخير بحضور عثمان بن عفان فقط ! وحمل عمر تلك الوصيّة وأستشهد بها على الناس وأخذ منهم البيعة بذلك .
فأين الشورى في ذلك ؟ !

٣ - خلافة عثمان :

إن الطريقة التي وصل بها عثمان إلى دفة الحكم كانت بناءً على مجلس شورى ، وقد عيّن أعضاءه الستة عمر بن الخطاب وحده ، وجعل أمر الترجيح النهائي بيد عبد الرحمن بن عوف في حالة انقسام الستة إلى ثلاثة ، كما حصل فعلًا !
فأين الشورى في ذلك ؟ !

٤ - خلافة معاوية :

إن الطريقة التي وصل بها معاوية إلى دفة الحكم ، كانت بناءً على مجالدته بالسيف ل الخليفة المسلمين وإمامهم المُبايِع من قبلهم - بعد أن هرع الناس إليه يبَايِعُونَه بعد مقتل الخليفة عثمان - ومن ثم إجبار الإمام الحسن (ع) على الصلح .
فأين الشورى في ذلك ؟ !

٥ - خلافة يزيد بن معاوية :

إن الطريقة التي وصل بها يزيد إلى دفة الحكم كانت بناءً على وصيّة من

أبيه معاوية الذي استنَّ سنة جديدة في الخلافة بجعلها وراثة .
فأين الشورى في ذلك ؟ !

وقد وَطَدَ يزيد أمر خلافته بذبحه للحسين (ع) وسائل أبناء الرسول (ص) في كربلاء . . . وهكذا وصل بقية حكام المسلمين منذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا .

فالطريقة التي تمَّ فيها تنصيب الخلفاء بالوصف الذي ذكرناه ، إذا قارناها بالطريقة التي يتم فيها تعيين الحكام في الدول الغربية عن طريق ما يُسمَّى «بالديمقراطية» . . .

فأي من الطريقتين يحكم بفضيلتها العقل السليم المتجرد من أي تعصب ديني أو مذهبي ؟؟؟

لقد رفض جمهور المسلمين من أهل السنة النصوص الواردة عن الرسول (ص) بتعيين الأئمة من أهل البيت خلفاء له على الأمة الإسلامية ، فأنكروا النصوص في ذلك وأستنكروها على من يعتقد بها ، قائلين بأنَّ الأمر شوري ، بينما الشورى لم يكن لها أي أثر في تنصيب الخلفاء الذين يقبلونهم . رفضوا النص من النبي (ص) بشأن الخلافة ، وقبلوه من غير النبي (ص) ، ولم يشترطوا الشورى أمام نصوص سواه بل قبلوا تعيين من عينوه .

حكموا بشرعية يزيد بالرغم من ثورة سيد الشهداء عليه !
وحكموا بشرعية معاوية بالرغم من أنه تمرَّد على الإمام علي (ع) وخرج عن طاعته !

إن الخطأ الفادح الذي يقع فيه جمهور المسلمين هو أخذهم نصوص النبي (ص) من المذهب الذي يعتنقونه - أي أنَّ كثيراً منهم يرفض الرواية لمجرد أنها تخالف مذهبه وحتى لو كانت هذه الرواية من كتبه التي يؤمن بصحتها - مع أنَّ حكم العقل يُوجِّب أخذ المذهب من النصوص لا العكس .

خاتمة بحث الإمامة

لقد عرضنا في ماضى نصوص الرسول (ص) في الإمامة المتمثلة بإماماة أهل بيته (ص)، والمختصة بالأئمة الإثنى عشر (ع)، الذين أولهم الإمام علي بن أبي طالب (ع). وقد أوضحنا بعض ما غمض في تلك النصوص من دلالات ، وفندنا ما أحبط حولها من شبهات ، ثم بينا كيف تعامل جمهور الصحابة مع تلك النصوص ، وقد سار على نهجهم ذلك جمهور المسلمين إلى يومنا هذا .

إن مفهوم الإمامة هو الذي فرق المسلمين منذ لحظة وفاة النبي (ص) إلى يومنا هذا ، وجعلهم سنة وشيعة ، بالرغم من أن كلتا الطائفتين تدعيان الاقتداء بسنة النبي (ص) ، إلا أن الشيعة عرّفوا بأخذهم لهذه السنة عن طريق أهل البيت (ع) وأئمتهم الإثنى عشر ، بينما يأخذ أهل السنة سنة النبي (ص) من أيٍّ من الصحابة وقد أضافوا لسنة النبي (ص) سنة الخلفيتين أبي بكر وعمر (وسترى في الفصول اللاحقة كثيراً من الشواهد على هذه الحقيقة) .

وقد بينا كيف آجتهد جمهور الصحابة من المسلمين المتقدمين (وقد تميّز منهم في ذلك أبو بكر وعمر وعائشة ومعاوية) مقابل نصوص الرسول (ص) في الإمامة ، الأمر الذي أبعد أئمة أهل البيت عن إدارة أمور الأمة الإسلامية ، وخصوصاً بعد استشهاد الإمام علي (ع) ، ولكونهم أصحاب حق مهذبوا ، فقد

أصبحوا تلقائياً حزباً معارضاً لا يرى شرعية الحكام الذين توّلوا أمور المسلمين بغير حق ، فأصبح شيعة أهل البيت حزباً مغضوباً عليه من قبل حكام المسلمين وخصوصاً بنى أمية وبني العباس .

وقد كان أنقسام المسلمين إلى حزبين رئيسيين ظاهرين بعد موقعتي الجمل وصفين ، واستشهاد الإمام علي (ع) - بعد أن كان حزب أهل البيت مستوراً زمان الخلفاء الثلاثة الأولين عملاً بالسياسة الحكيمه التي أتبّعها الإمام علي (ع) - ، عاملأً على أن يُظهر كل حزب ما لديه من أدلة تشهد بأحقية دعواه وتحزّبه ، ولما لم يجد التابعون من أتباع معاوية ويزيد وسائر الحكام الأمويين ما يفتّدون به نصوص إمامه أهل البيت الدامغة ، ذهب أحدهم وهو « سيف بن عمر التميمي » الذي عُرف بالكذب والزنادقة عند المتقدمين من علماء الحديث ، ذهب (بإيعاز من أمرائه) إلى وضع أسطورة عبد الله بن سباء ، التي عزا فيها التشيع إلى هذا الرجل الخرافي ، وقد بينا تفنيد هذه المؤامرة . وحتى لو آخْتَمْلَ أن تكون شخصية عبد الله بن سباء حقيقة ، فإنَّه ليس هو الذي نادى بوصاية علي وأستخلافه ، بل هو نبي الإسلام محمد (ص) من خلال نصوصه في ذلك التي عرضنا قسماً منها .

الفصل الثاني

عدالة الصحابة

لقد كثر الكلام في عدالة الصحابة ، و اختلف الناس في ذلك اختلافاً كثيراً ، فيرى أهل السنة أنَّ الصحابة جميعهم عدول لا يتطرق إليهم الجرح ولا يجوز لأحد أن يتوجه إليهم بالنقد أو الشك في روایتهم لحديث رسول الله (ص) ، ومن يفعل ذلك فإنَّهم يفتون بفسقه ويعتبرونه من الزنادقة . وهم بذلك يتزمون بكل ما رواه الصحابي ، فيكتفي مثلاً عندهم لقبول الحديث المروي ثبوت روایة أيٌّ من الصحابة له . والصحابي عندهم كما يعرف البخاري : هو من صحاب النبي (ص) أو رآه من المسلمين .

ولا أرى في حكمهم ذلك بتفسيق كل من يتقدِّم أحد الصحابة إلا مبالغة وإسرافاً في الثقة ، ومعارضة لكتاب الله وسنة نبيه والطبائع البشرية كما ستبث ذلك في الصفحات اللاحقة .

وإنَّ ما يُفترى به على الشيعة بأنَّهم يكفرون جميع الصحابة بالإضافة إلى سبهم ولعنهم ، ما ذلك إلا كذب صارخ وليس له أي وجه من الصحة ، فالشيعة لا يكفرون الصحابة ولكن يرون أنَّهم معرضون للنقد والجرح ، وأنَّهم لم يكونوا على درجة واحدة من العدالة ، فانتقادهم لهذا الصحابي أو ذاك لا يعني

تكفيرهم له كما يُشيع بعض السُّفَهاء ، وإذا كان إنقادهم مبنياً على الدليل فلماذا الغضب وكل هذه الضجّة ؟

ففي الصّحابة مؤمنون أثني الله عليهم في القرآن الكريم بقوله : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ . . . ﴾^(١٢٩) . إذاً فالله تعالى خصّ بالثناء المؤمنين فقط من حضروا بيعة الشّجرة ، ولم يشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أبي وأوس بن خولي ، فلا دلالة في الآية على رضا الله تعالى عن جميع الذين بايعوا ، - مع أنهم يعدون من الصحابة في زعم البخاري وأمثاله - بل ولا تدلّ على حسن خاتمة أمر جميع المبايعين المؤمنين ، فالآلية لا تدلّ على أكثر من أنّ الله تعالى رضي عهم بيعتهم هذه - أي قبلها منهم - وأثابهم عليها ، فرضاء الله عن أهل هذه البيعة ليس مستلزمًا لرضاه عنهم إلى الأبد ، والدليل على ذلك قوله تعالى بشأنهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكِثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهَ عَلَيْهِ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١٣٠) .

فلو لم يجز أن يكون من المبايعين من ينكث بيته ، وكان رضا الله عنهم محققاً إلى الأبد - بسبب أنهم من الصحابة مثلاً - لما كانت هناك فائدة لقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكِثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ .

وفي الصحابة من أخبر الرسول (ص) بردتهم بعد وفاته ، ومن ثم هلاكهم يوم القيمة كما يظهر ذلك جلياً من خلال الروايتين أدناه :

... سَعِدٌ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : أَنَا فَرَطْكُمْ عَلَى الْخَوْضِ ، مَنْ وَرَدَهُ شَرَبَ مِنْهُ وَمَنْ شَرَبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَداً ، لَيَرِدُ عَلَى أَفْوَامِ أَغْرِفَهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ . قَالَ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ فِيهِ : قَالَ : إِنَّهُمْ مِنِّي ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَنْذِرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ ، فَاقُولُ : سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي^(١٣١) .

(١٢٩) الفتح : ١٨ .

(١٣٠) الفتح : ١٠ .

(١٣١) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٤٤ كتاب الفتن .

قال عبد الله : قال النبي ﷺ : أنا فَطُكم على الحوض . ليرفعن إليّ رجال منكم حتى إذا أهونت لأنواعهم اختلعوا دوني ، فاقول : أي رب ، أصحابي ، يقول : لا تدري ما أخذنا بعدك (١٣٢) .

وتؤكدأ للروایتين السابقتين واللتین تشيران إلى الإحداث والتبدیل - أي الارتداد - فإن الروایة التالیة تقرنهم باسم اليهود والنصاری الذين حرفوا الكلم عن مواضعه :

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَتَبْغُونَ سِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبَرًا ، وَذِرَا عَذْرًا ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحَنَّمَ ضَبَتْ تَعْتُمُهُمْ . قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ : فَمَنْ ؟ (١٣٣) .

وفي الصحابة من أخبر الله عنهم بكتابه العزيز : « وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائمًا » فقد نزلت هذه الآية في الصحابة الذين غادروا المسجد أثناء قيام الرسول (ص) وهو يخطب فيهم يوم الجمعة عندما وصلت قافلة من الشام ولم يبق مع الرسول (ص) سوى إثنى عشر رجلاً كما يظهر في الروایتين أدناه :

قال : أقبلت غير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ فثار الناس إلا إثنى عشر رجلاً فأنزل الله - « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها » - (١٣٤) .

قال : بينما نحن نصلّي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا إثنا عشر رجلاً ، فنزلت هذه الآية - « وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائمًا » - (١٣٥) .

ونفس العدد - من ضمن كل تلك المئات من الصحابة - بقي مع

(١٣٢) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٤٤ كتاب الفتنة .

(١٣٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ٣١٥ كتاب الإنعام بالكتاب والسنة .

(١٣٤) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٩١ كتاب التفسير .

(١٣٥) صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٨ كتاب الإيمان .

الرسول (ص) ، عند فرارهم في موقعة أحد حيث تبرأ الرسول (ص) من فعلهم :

قال : جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَالَةِ يَوْمَ أُحْدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيرٍ وَأَقْبَلُوا مُنْهَزِينَ فَذَاكَ إِذَا يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أَخْرَاهُمْ وَلَمْ يَقُلْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا^(١٣٦) .

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : غَابَ عَمَّى أَنَسُ بْنُ النَّضِيرِ عَنْ قِتالِ بَدْرٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غَبَتْ عَنْ أَوَّلِ قِتالٍ قاتَلَتِ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قاتَلَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَ اللَّهُ مَا أَصْنَعَ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحْدٍ ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أُعْتَدَرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هُؤُلَاءِ ، يَعْنِي أَصْحَابَةً^(١٣٧) .

وَيَوْمَ حَنِينَ كَانَ فَرَارُهُمْ أَدْهِي وَأَمْرٌ ، إِذَا كَانُوا يَعْدَوْنَ بِالآلَافِ ۖ وَيَوْمَ حَنِينَ إِذَا عَجَبْتُمْ كُثُرَتِكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحِبَتْ ثُمَّ وَلَيْتَمْ مَدْبِرِينَ ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سُكِّيَّتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۖ ۖ^(١٣٨) الآية .

وَفِي الصَّحَابَةِ مِنْ أُنْزِلَ فِي حَقِّهِمُ الْآيَةِ : ۚ مَا كَانَ لَنِبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ ، تَرِيدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ، لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لِمَسْكِمِكُمْ فِيمَا أَخْذَتُمْ عَذَابًا عَظِيمًا^(١٣٩) .

وَكَانَ نَزُولُ هَذِهِ الْآيَةِ يَوْمَ بَدرٍ - أَوْ بَعْدِهِ - فِي فَتَّةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ كَانَ النَّبِيُّ (ص) اسْتَشَارُهُمْ لِيَرِي مَدْى اسْتِعْدَادِهِمْ لِلقِتالِ - فَكَانَ مِنْ رَأْيِهِمْ أَنْ يَأْخُذُوا الْعِيرَ وَمَا تَحْمِلُ قَافْلَةُ أَبِي سَفِيَّانَ وَلَا يَقْاتَلُوا .

(١٣٦) صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٧ كتاب التفسير .

(١٣٧) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٧ كتاب الجهاد .

(١٣٨) التوبه : ٢٥ .

(١٣٩) الأنفال : ٦٧ .

وفي الصحابة من أنبياء الرسول (ص) على عصيانهم ونزعاتهم الجاهلية كما يظهر ذلك في الرواية التالية التي تظهر حمياتهم القبلية - وهم من الصحابة (؟) - حتى في محضر الرسول (ص) .

قال عمرو : سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : كُنْتُ فِي غَزَّةٍ قَالَ سُفِيَانُ مَرْءَةً فِي جِيشٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لِلْأَنْصَارِ . وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : مَا بِالْأَنْصَارِ
جاهيلية (١٤٠) ؟

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا وَاللَّهُ أَعْذُرُكَ مِنْهُ ، إِنْ
كَانَ مِنَ الْأَوْسَرِ ضَرَبْنَا عَنْقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْرَاجِنَا مِنَ الْخَرْجِ أَمْرَتَنَا
فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ . فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَرْجِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ
رَجُلًا صَالِحًا ، وَكَانَ احْتَمَلَتِهِ الْحَمِيمَةُ فَقَالَ : كَذَبْتُ لِعَمْرُ اللَّهِ ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا
تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ الْحَاضِرِ فَقَالَ : كَذَبْتُ لِعَمْرُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ
لَنْقُتُلَنَّهُ ، إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ . فَثَارَ الْجَيَانُ الْأَوْسَرُ وَالْخَرْجُ
حَتَّى هَمُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَنَزَلَ فَحَفَضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا
وَسَكَتَ (١٤١) .

وفي الصحابة من كان يبغض علیاً : وفيهم من كان يطعن في تأمير
الرسول (ص) عليهم أسامة بن زيد :

عَنْ بُرِيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَى
خَالِدٍ لِيَقْبِضَ الْخُمُسَ وَكُنْتُ أَبْغُضُ عَلَيْهِ وَقَدْ اغْتَسَلَ ، فَقَلَّتْ لِخَالِدٍ : أَلَا
تَرَى إِلَى هَذَا ؟ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرْتُ لَهُ فَقَالَ : يَا بُرِيْدَةُ ،

(١٤٠) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٩٧ كتاب التفسير .

(١٤١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٥٠٨ كتاب الشهادات .

أَتُبْعِضُ عَلَيَا؟ فَقَلَّتْ : نَعَمْ ، قَالَ : لَا تُبْغِضُهُ فَإِنَّ لَهُ فِي الْخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ (١٤٢) .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثَةً ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَسَامِةً بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَفَدَ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلٍ (١٤٣) .

وفي الصحابة مَنْ أخرجهم الرسول (ص) من مجلسه عندما رموه بكلمة مؤلمة وهو في مرضه الأخير قبل أن يودع الحياة الدنيا :

سَمِعَ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ : سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : يَوْمَ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ، ثُمَّ يَكُنَّ حَتَّى يَلِدُ دَمْعَةُ الْحَصَى ، قَلَّتْ : يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ، مَا يَوْمُ الْخَمِيسِ؟ قَالَ : أَشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجْهُهُ . فَقَالَ : أَتُؤْنِي بِكَيْفِ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا ، فَتَنَازَعُوا وَلَا يَتَبَغِيْنِي عِنْهُ بَيْنَ تَنَازُعٍ . فَقَالُوا : مَا لَهُ أَهْجَرَ؟ أَسْتَفْهِمُوهُ . فَقَالَ : ذُرُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مَمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ (١٤٤) .

وفي الصحابة من تنازع على الإمارة بعد وفاة الرسول (ص) حتى وصل الحد بأحدهم أن يطلب تعيين أميرين واحد للمهاجرين وآخر للأنصار : ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَكَتِيْبَةُ الإِسْلَامِ ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ ، وَقَدْ دَفَتْ دَافَةً مِنْ قَوْمِكُمْ ، إِنَّا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَلُونَا مِنْ أَصْلِنَا ، وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنْ الْأَمْرِ (١٤٥) .

فَقَالَ قَائِلُ الْأَنْصَارِ : أَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ ، وَعَدِيقُهَا الْمُرَجَّبُ : مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ ، يَا مَعْشَرَ قُرْيَشٍ . فَكَثُرَ اللَّغْطُ ، وَأَرْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ ،

(١٤٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٤٤٧ كتاب المعاذري .

(١٤٣) صحيح البخاري ج ٥ ص ٥٧ كتاب فضائل الصحابة .

(١٤٤) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٦٠ كتاب الخمس .

(١٤٥) صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٤١ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

حتى فرقت من الاختلاف^(١٤٦)

وفي الصحابة أبو هريرة - الذي أفردنا له زاوية خاصة في الفصل الرابع - وفيهم أيضاً معاوية بن أبي سفيان فراجع ما ذكرنا بشأنه في الفصل الأول بالإضافة إلى الروايات الأربع التالية :

عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوهُمْ يَقُولُونَ صَبَانَا ، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ أَسِيرَةِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ أَمْرِ خَالِدٍ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَ أَسِيرَةِ . فَقُتِلَتْ : وَاللَّهُ لَا أَفْتُلُ أَسِيرِي . وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَةً ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ لَهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدِيهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ ، مَرَّتِينَ^(١٤٧)

فلقد رأينا يوم الحديبية ، يعني الصلح الذي كان بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمشركيـن ، ولو نرى قتالاً لقاتلـنا ، فجاء عمر فقال : ألسنا على الحق ، وهـم على الباطـل ؟ أليس قتلـنا في الجنة وقتلـهم في النار ؟ قال : بلـى ، قال : فـقـيم نـعطيـنـيـ الـدـيـنـةـ فـيـ دـيـنـاـ وـرـجـعـ ، وـلـمـاـ يـحـكـمـ اللـهـ بـيـنـاـ ؟ـ فـقـالـ : يا ابنـ الخطـابـ ، إـنـيـ رـسـوـلـ اللـهـ وـلـنـ يـضـيـعـنـيـ اللـهـ أـبـداـ ، فـرـجـعـ مـتـعـيـطاـ فـلـمـ يـصـبـرـ حـتـىـ جـاءـ أـبـاـ بـكـرـ فـقـالـ : يا أـبـاـ بـكـرـ ، أـلسـناـ عـلـىـ الـحـقـ وـهـمـ عـلـىـ الـبـاطـلـ ؟ـ قـالـ : يا ابنـ الخطـابـ ، إـنـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـّىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـلـنـ يـضـيـعـنـيـ اللـهـ أـبـداـ^(١٤٨)ـ .ـ فـعـمـرـ بـنـ الخطـابـ لـمـ يـرـضـ وـسـطـمـنـ بـمـاـ أـجـابـهـ بـهـ الرـسـوـلـ (صـ)ـ فـذـهـبـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ يـعـتـرـضـ نـفـسـ الـاعـتـراـضـاتـ ،ـ هـذـاـ مـعـ أـنـ النـبـيـ (صـ)ـ لـاـ يـجـوزـ أـنـ يـعـتـرـضـ عـلـيـهـ أـحـدـ اـبـتـدـاءـ مـطـلـقاــ .ـ

عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ

(١٤٦) صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٤٢ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

(١٤٧) صحيح البخاري ص ٤٤٠ ج ٥ كتاب المغازي .

(١٤٨) صحيح البخاري ص ٣٤٨ ج ٦ كتاب التفسير .

الله ﷺ وعندِي جاريَتان تُغْنِيَان بِعِناءِ بُعاثٍ فاضطَّجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ وَحَوْلَ وجهِهِ . فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ : مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ : دَعْهُمَا ، فَلَمَّا غَفَّا غَمَرْتُهُمَا فَخَرَجْتَا .^(١٤٩)

فهذا الخبر لا يصح بحال لأن الرسول (ص) لا يمكن أن يستمع للمزامير والغناء - دع عنك أن يكون ذلك في بيته ، في حين أن أبو بكر يمتنع عن ذلك وهو يصفه بمزمار الشيطان - فهل أن أبو بكر أتقى الله من رسوله (ص) ؟ والخبر مروي عن صحابة فكيف نوفق بين عدالتهم وصدقهم .

عَنْ أَبْنَى أَبِي مُلِيْكَةَ قَالَ : كَادَ الْخَيْرُ أَنْ يَهْلِكَا : أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ عَلَيْهِ رَكْبُ بَنِي تَمِيمٍ^(١٥٠) .

وأن التشرف بصحبة النبي (ص) ليس أكثر أميالاً من التشرف بالزواج من النبي (ص) وقد قال تعالى في شأنهن : « يا نساء النبي من يأت منكين بفاحشة مبينة يُضاعف لها العذاب ضعفين »^(١٥١) ، وكذلك قوله تعالى بشأن تظاهر عائشة وحفصة على النبي (ص) : « أَنْ تَتَوَبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبِكُمَا وَأَنْ تَظَاهِرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مُوْلَاهُ . . . »^(١٥٢) إلى قوله تعالى : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَ نُوحَ وَامْرَأَ لَوْطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدِينَ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَاهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقُبِلَ ادْخَالُهُنَّا النَّارَ مِنَ الدَّاخِلِينَ »^(١٥٣) .

وانظر الروايات التالية التي توضح بعض معاني الآيات السابقة :

(١٤٩) صحيح البخاري ص ١٠٠ ج ٤ كتاب الجهاد .

(١٥٠) صحيح البخاري ص ٣٤٩ ج ٦ كتاب التفسير .

(١٥١) الأحزاب : ٣٠ .

(١٥٢) التحرير : ٤ .

(١٥٣) التحرير : ١٠ .

عَنْ عَبْيَدِ بْنِ حُنَيْنَ ، عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَيْسْتُ سَنَةً وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ الَّتِيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلْتُ أَهَابَهُ ، فَزَرَّلَ يَوْمًا مُتَنَزِّلًا فَدَخَلَ الْأَرَاقَ ، فَلَمَّا خَرَجَ سَأَلَهُ فَقَالَ : عَائِشَةُ وَحْفَصَةُ ، ثُمَّ قَالَ : كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعْدُ النِّسَاءَ شَيْئًا ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْلَامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًا مِنْ عَيْرِ أَنْ نُدْخِلُهُنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِنَا . وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنِ امْرَأَتِي كَلَامٌ فَاغْلَظْتُ لِي فَقْتُلَهَا : وَإِنَّكَ لَهُنُّكَ ، قَالَتْ : تَقُولُ هَذَا لِي وَابْنُتُكَ تُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فَأَتَيْتُ حَفْصَةَ فَقْتُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخْدُرُكَ أَنْ تَعْصِيَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ)١٥٤(.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ وَيَسْكُثُ عِنْدَهَا ، فَوَاطَّاتُ أَنَا وَحْفَصَةُ عَنْ أَيْتَنَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَلَتَقُلُّ لَهُ : أَكَلْتُ مَغَايِرًا ، إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رَيْحَ مَغَايِرًا . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَشْرَبُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ فَلَنْ أَعُودَ لَهُ . وَقَدْ حَلَفْتُ لَا تَخْبِرِي بِذَلِكَ أَحَدًا)١٥٥(.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ نِسَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنْ حِزْبَيْنِ : فَحِزْبٌ فِيهِ عَائِشَةُ وَحْفَصَةُ وَصَفِيفَةُ وَسَوْدَةُ . وَالْحِزْبُ الْآخَرُ : أُمُّ سَلَمَةَ وَسَارِيَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)١٥٦(.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كُنْتُ أَغْارِي عَلَى الْأَتَيِ وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقُولُ : أَتَهْبِي الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا ؟ فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى - « قُرْجِي مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ » قَلَتْ : مَا أَرَى رَبِّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاءٍ)١٥٧(.

(١٥٤) صحيح البخاري ص ٤٨٩ ج ٧ كتاب اللباس .

(١٥٥) صحيح البخاري ص ٤٠٤ ج ٦ كتاب التفسير .

(١٥٦) صحيح البخاري ص ٤٥٤ ج ٣ كتاب الهبة .

(١٥٧) صحيح البخاري ص ٢٩٥ ج ٦ كتاب الأدب .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَلَقَدْ هَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَنِي بِثَلَاثٍ سِبْعَةً ، لِمَا كُنْتُ أَشْمَعُهُ بِذِكْرِهَا . وَلَقَدْ أَمْرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصْبٍ . وَإِنْ كَانَ لِيَذْبَحُ الشَّاةَ ثُمَّ يَهُدِي فِي خُلُّتِهَا مِنْهَا^(١٥٨) .

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : اسْتَأْذَنْتُ هَالَّهُ بِنْتَ حُوَيْلَدَ أَخْتَ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَهُ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ هَالَّهُ ، قَالَتْ : فَغَرْتُ فَقُلْتُ : مَا تَذَكَّرُ مِنْ عَجَوْزٍ مِنْ عَجَائزِ قُرْبَشٍ ، حَمَراءِ الشَّدَقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا^(١٥٩) .

عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا غَرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلِكُنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا . وَرَبِّمَا دَبَّغَ الشَّاةَ ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَعْضَاءً ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَاقَنِ خَدِيجَةَ ، فَرَبِّمَا قُلْتُ لَهُ : كَانَهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةً إِلَّا خَدِيجَةَ ، فَيَقُولُ : إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدًا^(١٦٠) .

قَالَ : قَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَشَارَ نَحْوَ مَسْكِنِ عَائِشَةَ فَقَالَ : هَا هُنَّا الْفِتْنَةُ ، ثَلَاثًا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ^(١٦١) .

إنَّ الحديثَ الأخيَرَ أعلاه يشير إلى الفتنة التي سبقت إليها أم المؤمنين وخروجها على رأس جيش لمحارب الإمام علي خليفة المسلمين في موقعة الجمل - وراجع تفاصيل أكثر في الفصل الأول -

وما يرتکز عليه مَنْ يعتقدون عدالة جميع الصحابة هو زعمهم أنَّ رسول الله (ص) قال : « أصحابي كالنجوم بأيهم اهتديتُمْ » وفي رواية

(١٥٨) صحيح البخاري ص ٢٢ ج ٨ كتب الأدب .

(١٥٩) صحيح البخاري ص ١٠٥ ج ٥ كتاب مناقب الأنصار .

(١٦٠) صحيح البخاري ص ١٠٤ ج ٥ كتاب مناقب الأنصار .

(١٦١) صحيح البخاري ص ٢١٧ ج ٤ كتاب الخمس .

آخرى : بآياتهم أخذتم قوله . . .

فإذا سلمنا بصحة هذه الرواية ، وبناءً على الروايات السابقة فإن ذلك سيعني أنَّ مَنْ يقتدي بمن يغادر المسجد من أجل متاع دنيوي زائل والرسول (ص) قائم يخطب فقد اهتدى ! وأنَّ من يقتدي بمن تركوا مواقعهم - التي أمرهم الرسول (ص) أنْ يتحضروا بها - من أجل كسب بعض الغنائم فقد اهتدى ! وإنَّ مَنْ يقتدي بمن يطعن في تأمير الرسول (ص) لأسامة فقد اهتدى ! وأنَّه من يقتدي بمن يعرض ويتظاهر على النبي (ص) فقد آهتدى !!

لا شك أنَّ في ذلك تناقضًا تاباه الطبائع البشرية والفطرة السليمة ، فضلًا عن أنَّ اعتقادنا بصحة تلك الرواية ، يعني أيضًا عصمة جميع الصحابة ، لأنَّ قولهم ذلك قد يتضمن أمرًا من الرسول (ص) للMuslimين بالاتباع والاقتداء بجميع الصحابة مطلقاً من غير قيد أو شرط - حسب ما يفهمون من الرواية - ، ولكنه ليس من الممكن أن يأمر الرسول (ص) باتباع مَنْ يُحتمل فعله لعصيبة ، وبذلك تُرد تلك الرواية لما عُرف قطعاً بعدم عصمة الصحابة .

والحق أن روايتهم تلك قد وضعوا لتكون بدليلاً عن الحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الحاكم فى مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن عباس : « قال رسول الله (ص) : النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لأمتى من الاختلاف ، فإذا خالفتها قبيلة من العرب آخذلوا فصاروا حزب إبليس »^(١٦٢) .

وقد كان من أهم الآثار السلبية التى تمَّ خضت نتيجةً للاعتقاد بعدالة جميع الصحابة هو وجود ذلك الكم الهائل من الروايات الغثة^(*) فى كتب الحديث كالإسرائيليات والمسيحيات وغير ذلك من الخرافات مما يُتخذ مطاعن على دين الإسلام ، ذلك أنَّ تلك الروايات قد أخذت محلَّ القبول والتصديق لمجرد أنها رُويت عن الصحابة بالرغم من كل ما يُحتمل عليهم فعله كما بياننا ذلك من خلال الروايات العديدة السابقة .

(١٦٢) مستدرك الصحيحين .

* عرضنا أمثلة كثيرة لأمثال هذه الروايات في الفصل الرابع .

الفصل الثالث

الشيعة والقرآن الكريم

يعتقد الشيعة أن « القرآن هو الوجه الإلهي المنزل من الله تعالى على سان نبيه الأكرم في تبيان كل شيء ، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن محاربتها في البلاغة والفصاحة وفي ما تحتوي من حقائق و المعارف عالية ، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف ، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي (ص) ، ومن أدعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه ، وكلهم على غير هدى ، فإنه كلام الله الذي - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - »^(١٦٣) ، ويقول شيخ المحدثين محمد بن علي القمي الملقب بالصادق : « اعتقادنا في القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمد (ص) هو ما بين الدفتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثرب من ذلك ... ومن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب »^(١٦٤) .

ويؤكد ذلك ما يقوله البهنساوي وهو أحد مفكري الأخوان المسلمين : « ... إن الشيعة الجعفرية الإثنى عشرية يرون كفر من حرّف القرآن الذي

(١٦٣) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص ٤١ الطبعة الثالثة .

(١٦٤) اعتقادات الصدوق .

أجمعـت عـلـيـهـ الـأـمـةـ مـنـذـ صـدـرـ الإـسـلـامـ . . . وـاـنـ المـصـحـفـ الـمـوـجـودـ بـيـنـ أـهـلـ السـنـةـ هـوـ نـفـسـهـ الـمـوـجـودـ فـيـ مـسـاجـدـ وـبـيـوـتـ الشـيـعـةـ » وـيـواـصـلـ فـيـ مـجـالـ رـدـهـ عـلـىـ (ـظـهـيرـ) وـ(ـخـطـيـبـ) فـيـنـقـلـ رـأـيـ السـيـدـ الـخـوـئـيـ وـهـوـأـحـدـ مـراـجـعـ الشـيـعـةـ الـكـبـارـ فـيـ الـعـصـرـ الـحـاضـرـ : «ـ الـمـعـرـوفـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ عـدـمـ وـقـوـعـ التـحـرـيفـ فـيـ الـقـرـآنـ وـاـنـ الـمـوـجـودـ بـيـنـ أـيـدـيـنـاـ هـوـ جـمـيعـ الـقـرـآنـ الـمـتـزـلـ عـلـىـ النـبـيـ الـأـعـظـمـ (ـصـ) » (١٦٥) .

وـاـمـاـ الشـيـخـ مـحـمـدـ الـغـزـالـيـ فـيـقـولـ فـيـ كـتـابـهـ دـفـاعـ عـنـ الـعـقـيـدـةـ وـالـشـرـيـعـةـ ضـدـ مـطـاعـنـ الـمـسـتـشـرـقـينـ : «ـ سـمـعـتـ مـنـ هـؤـلـاءـ مـنـ يـقـولـ فـيـ مـجـلـسـ عـامـ : إـنـ لـلـشـيـعـةـ قـرـآنـاـ آخـرـ يـزـيدـ وـيـنـقـصـ عـنـ قـرـآنـاـ الـمـعـرـوفـ .ـ فـقـلتـ لـهـ : أـينـ هـذـاـ الـقـرـآنـ؟ـ وـلـمـاـذـاـ لـمـ يـطـلـعـ الـأـنـسـ وـالـجـنـ عـلـىـ نـسـخـةـ مـنـهـ خـلـالـ هـذـاـ الـدـهـرـ الطـوـلـ؟ـ لـمـاـذـاـ يـُـسـاقـ هـذـاـ الـإـفـتـرـاءـ؟ـ . . .ـ فـلـمـاـذـ الـكـذـبـ عـلـىـ النـاسـ وـعـلـىـ الـوـحـيـ » (١٦٦) .

وـاـمـاـ الرـوـاـيـاتـ غـيـرـ الصـحـيـحةـ التـيـ قـدـ يـسـتـنـدـ إـلـيـهـ الـبعـضـ .ـ وـالـتـيـ تـقـولـ بـتـحـرـيفـ الـقـرـآنـ .ـ وـالـمـوـجـودـ فـيـ كـتـبـ الـحـدـيـثـ عـنـ الشـيـعـةـ ،ـ فـإـنـهـاـ مـدـانـةـ وـمـرـفـوـضـةـ وـمـثـلـهـاـ كـثـيرـ فـيـ كـتـبـ صـحـاحـ الـحـدـيـثـ عـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـسـنـعـرـضـ أـمـثـلـهـ لـذـلـكـ مـنـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ نـمـهـدـ لـهـاـ بـمـاـ يـرـوـونـهـ مـنـ تـسـيـانـ الرـسـوـلـ (ـصـ)ـ لـبـعـضـ الـآـيـاتـ :

عـنـ أـبـيهـ ،ـ عـنـ عـائـشـةـ قـالـتـ :ـ سـمـعـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ رـجـلـاـ يـقـرـأـ فـيـ سـوـرـةـ بـالـلـيـلـ فـقـالـ :ـ يـرـحـمـهـ اللـهـ لـقـدـ أـدـرـكـنـيـ آيـةـ كـذـاـ وـكـذـاـ كـنـتـ أـنـسـيـتـهـاـ مـنـ سـوـرـةـ كـذـاـ وـكـذـاـ (١٦٧) .

وـفـيـ صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ أـيـضاـ أـنـهـ حـيـنـمـاـ كـانـوـاـ يـجـمـعـونـ الـقـرـآنـ لـمـ يـجـدـوـاـ جـزـءـاـ مـنـ سـوـرـةـ التـوـبـةـ إـلـاـ مـعـ خـزـيـمـةـ الـأـنـصـارـيـ ،ـ وـهـذـاـ يـنـاقـضـ الـحـقـيـقـةـ الـقـائـلـةـ بـأـنـ الـقـرـآنـ مـنـقـولـ بـالـتـوـاتـرـ لـاـ بـرـوـاـيـاتـ آـحـادـ :

الـأـحـزـابـ كـنـتـ أـسـمـعـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ يـقـرـؤـهـاـ لـمـ أـجـدـهـاـ مـعـ أـحـدـ إـلـاـ مـعـ

(١٦٥) السـنـةـ الـمـفـتـرـىـ عـلـيـهـاـ صـ ٦٠ .

(١٦٦) دـفـاعـ عـنـ الـعـقـيـدـةـ وـالـشـرـيـعـةـ ضـدـ مـطـاعـنـ الـمـسـتـشـرـقـينـ .

(١٦٧) صـحـيـحـ الـبـخـارـيـ صـ ٥٠٨ـ جـ ٦ـ كـتـابـ فـصـلـ الـقـرـآنـ .

خُزِيمَةُ الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَقَمْتُ فَتَبَعَتِي الْقُرْآنُ أَجْمَعُهُ مِنَ الرَّقَاعِ وَالْأَكْنَافِ وَالْعُسْبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزِيمَةَ الْأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ .

وَمِنَ الْرَوَايَاتِ الَّتِي تَقُولُ صِرَاطَةً بِتَحْرِيفِ الْقُرْآنِ مَا أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِالرَّوَايَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رَضِ) :

أَنَّ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ مُقْبِلاً قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرُو بْنِ نَفِيلٍ . لِيَقُولَنَّ الْعَشِيقَةَ مَقَالَةً لَمْ يَقُلُّهَا مُنْذُ اسْتُخْلَفَ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا عَسَيْتَ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَقُلْ قَبْلَهُ ؟ فَجَلَسَ عُمَرُ عَلَى الْبَيْنِيرِ . فَلَمَّا سَكَتَ الْمُؤْذِنُونَ قَامَ فَأَنْشَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَائِلٌ لِكُمْ مَقَالَةً قَذْقُدْرِيِّي أَنْ أَقُولُهَا ، لَا أَدْرِي لِعَلَمَاهَا بَيْنَ يَدِي أَجْلِي . فَمَنْ عَقَلَهَا وَوَعَاهَا فَلَيُحَدِّثَ بِهَا حَيْثُ انتَهَى بِهِ رَاحْلَتُهُ . وَمَنْ خَشِيَ أَنْ لَا يَعْقَلَهَا فَلَا أَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْحَقِّ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الرَّجْمِ فَقَرَأَنَا هَا وَعَقَلَنَا هَا وَوَعَيْنَا هَا . رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ . فَأَخْشَى إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : وَاللَّهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَيَضْلُلُوا بِتَرْكِ فَرِيضَةِ أَنْزَلَهَا اللَّهُ . وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَوَّى إِذَا أَحْسَنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، إِذَا قَامَتِ الْبَيْتَةُ ، أَوْ كَانَ الْجَبَلُ .

وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى : يَوْمَ عُمَرَ أَنْ يُضِيفَ تَلْكَ الْآيَةَ - الَّتِي يَزْعُمُ أَنَّهَا أُسْقِطَتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ - بِنَفْسِهِ :

(١٦٨) صحيح البخاري ص ٢٩١ ج ٦ كتاب التفسير .

(١٦٩) صحيح البخاري ص ١٦٢ ج ٦ كتاب التفسير .

(١٧٠) صحيح البخاري ص ٥٣٩ ج ٨ كتاب المحاربين من أهل الكفر .

قالَ عُمَرُ : لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ زَادَ عُمُرٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَبَّتْ آيَةُ الرُّجُمِ بِيَدِي وَأَفَرَّ مَا يَعْزَى عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالزَّنَّا أَرْبَعًا فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ^(١٧١) .

وَالآيَةُ المزعومةُ كَمَا فِي رِوَايَةِ صَحِيحِ ابْنِ مَاجَةَ : « وَالشَّيْخُ وَالشِّيخَةُ إِذَا زَنَى فَأَرْجِمُوهُمَا الْبَتَّةُ »^(١٧٢) .

وَالْحَقُّ فِي هَذَا الالْتَبَاسِ أَنَّ آيَةَ الرُّجُمِ مُوْجَدَةٌ فِي تُورَّاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ لَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا أَتَبَسَ عَلَى الْخَلِيفَةِ عُمَرَ :

إِنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : أَتَيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجْلٍ وَامْرَأَةَ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ زَنَى ، فَقَالَ لِلْيَهُودِ : مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا ؟ قَالُوا : نُسْخِمُ وَجُوهَهُمَا وَنُخْزِيهِمَا ، قَالَ ، فَأَتَوْا بِالْتُّورَّةِ فَأَتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَجَاءُوكُمْ فَقَالُوا لِرَجْلٍ مِّمَّنْ يَرْضَوْنَ أَغْوَرُ - : أَفْرَا ، فَقَرَا حَتَّى انتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِّنْهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ، قَالَ : ارْفِعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ إِذَا فِيهِ آيَةُ الرُّجُمِ تَلَوَحُ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ عَلَيْهِمَا الرُّجُمُ وَلِكُنَا شَكَانُهُمْ بَيْنَنَا ، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرِجَّهُمَا ، فَرَأَيْتُهُ يُجَانِي عَلَيْهِمَا الْحِجَارَةَ^(١٧٣) .

وَهَذَا الْخُلُطُ بَيْنَ كِتَابِ اللَّهِ الْحَكِيمِ وَالْتُّورَّةِ الَّذِي وَقَعَ فِي الْخَلِيفَةِ عُمَرَ قَدْ نَبَّهَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ (ص) عِنْدَمَا رَأَى عُمَرَ يَقْرَأُ فِي صُحُفِ الْيَهُودِ فَفَضَبَ (ص) غَضِبًا شَدِيدًا وَأَمْرَ عُمَرَ بَعْدَ قِرَاءَتِهِ وَقَالَ : « لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَبَعَّنِي »^(١٧٤) .

وَيُرَوِّى عَنِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ أَيْضًا قَوْلُهُ :

ثُمَّ إِنَّا كُنَّا نَقْرَأُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائُكُمْ فَإِنَّهُ كُفُرٌ بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائُكُمْ ، أَوْ إِنَّ كُفُرًا بِكُمْ أَنْ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائُكُمْ^(١٧٥) .

(١٧١) صَحِيحُ البَخَارِيِّ صِ ٢١٢ جِ ٩ كِتَابُ الْأَحْكَامِ .

(١٧٢) سِنَنُ أَبْوَ دَاؤِدَ .

(١٧٣) صَحِيحُ البَخَارِيِّ صِ ٤٧٦ جِ ٩ كِتَابُ التَّوْحِيدِ .

(١٧٤) نَفَلًا عَنْ كِتَابٍ : هَذِهِ نَصِيحتَيْنِي إِلَى كُلِّ شَيْءٍ لِأَنِّي مَكَرُ الْجَزَائِريِّ صِ ٨ .

(١٧٥) صَحِيحُ البَخَارِيِّ صِ ٥٤٠ جِ ٨ كِتَابُ الْفَرَائِضِ .

ولا يخفى على أحد أن هذه الآية أيضاً كسابقتها ليس لها وجود في كتاب الله !

وننتقل إلى الصحابي عبد الله بن مسعود (رض) الذي يروى عنه أنه كان يقرأ الآية : «**وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي ...**» بزيادة والذكر والآتني ، وكما هو معلوم أيضاً أن هذه الآية الزائدة ليست من كتاب الله !

ثم قال : كيْفَ يَقْرَأُ عَبْدُ اللَّهِ - وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ - وَاللَّيلُ إِذَا يَغْشِي وَالنَّهَارُ إِذَا تَجْلَى وَالذَّكْرُ وَالآتَنِي - قال : وَاللَّهُ لَقَدْ أَفْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيهِ ^(١٧٦).

وذلك يتناقض بلا شك مع ما رُوي عن رسول الله (ص) أنه قال كما في الروايتين أدناه ، حيث أنه لا يعقل أن يأمرنا الرسول (ص) بإستقراء القرآن ممن لا يحسن حفظه .

عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو فَقَالَ : ذَلِكَ رَجُلٌ لَا أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَبَدَا بِهِ ^(١٧٧) .

وقال : إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَخْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا ، وقال : اسْتَقْرِئُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ ، وَأَبِي بْنِ كَعْبٍ ، وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ^(١٧٨) .

ويرى مسلم في صحيحه عن عائشة (رض) أنها قالت : «كان في ما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات) فتوفي رسول الله وهن في ما يقرأن من القرآن» ^(١٧٩) ، وفي صحيح مسلم أيضاً : (أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء أهل البصرة وكانوا ثلاثة وأربعين رجل، فقال في ما قال لهم: وإنما كان نقرأ سورة

(١٧٦) صحيح البخاري ص ٦٣ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(١٧٧) أ : صحيح البخاري ص ٧٠ ج ٥ ، ب : ص ٧١ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(١٧٨) صحيح مسلم كتاب الرخصان بباب التحرير بخمس رضعات .

كَنَا نُشَبِّهُنَا فِي الطُّولِ وَالشُّدَّةِ بِرَاءَةٍ غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْهَا « لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيْنَ مِنْ مَالٍ لَأَبْتَغِي وَادِيًّا ثَالِثًا ، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التَّرَابُ » (١٧٩) .

وَفِي كِتَابِ « الإِنْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ » لِلصَّيْوَطِي يُذَكَّرُ بَعْضُ الرَّوَايَاتِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ ١١٢ سُورَةً فَقْطًا أَوْ بِإِضَافَةِ سُورَتِي الْحَفْدِ وَالْخَلْعِ (١٨٠) ... ! وَجَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَعْرُفُونَ شَيْئًا اسْمَهُ سُورَةُ الْحَفْدِ وَلَا سُورَةُ الْخَلْعِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَمْثَالِ تِلْكَ الرَّوَايَاتِ الْهَشَّةِ الْمَوْجُودَ عِنْدَ السَّنَّةِ ، وَالَّتِي نَكْتَفِي بِالْقَدْرِ الَّذِي أُورِدَنَاهُ مِنْهَا .

وَبَعْدَ ، فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ الشَّيْعِيُّ إِنَّ قُرْآنَ أَهْلِ السَّنَّةِ نَاقِصٌ أَوْ زَائِدٌ بِوُجُودِ رَوَايَاتٍ تَقُولُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ ؟ بِالْتَّأْكِيدِ لَا ، لَأَنَّ إِجْمَاعَ أَهْلِ السَّنَّةِ هُوَ الْقَوْلُ بِعَدْمِ تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ .

وَمَا دَامَ الْحَالُ هَكَذَا ، فَلِمَادِيَا نَرَى هَذِهِ الْحَمْلَةِ الْمَسْعُورَةِ مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الْكِتَابِ الْمُعَاصرِينَ فِي اتِّهَامِ الشَّيْعَةِ بِتَحْرِيفِ الْقُرْآنِ لِمَجْرِدِ وُجُودِ رَوَايَاتٍ ضَعِيفَةٍ تَقُولُ بِذَلِكَ هِيَ مَرْفُوضَةٌ عَنْهُمْ وَيَقْبَلُهَا الْكَثِيرُ مِنْ أَمْثَالِ تِلْكَ الرَّوَايَاتِ فِي كِتَابِ صَاحِحِ الْحَدِيثِ عَنْدَ أَهْلِ السَّنَّةِ . فَالَّذِي بَيْتَهُ مِنْ زَجَاجٍ لَا يَرْمِي بِبَيْتٍ لِلْآخَرِينَ بِالْحَجَارَةِ .

(١٧٩) صَحِيحُ مُسْلِمٍ كِتَابُ الزَّكَاةِ بَابُ لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيْنَ لَأَبْتَغِي ثَالِثًا .

(١٨٠) الإِنْقَانُ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ لِلصَّيْوَطِي .

الفصل الرابع

الشيعة والسنّة النبوية المطهرة

موقف الشيعة من السنّة النبوية :

إنَّ مَا يُفتقِرُ بِهِ عَلَى الشِّيَعَةِ مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الْحُجَّمَىِّ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ سَنَةَ الْمُصْطَفَى (ص) ، وَهَذَا هَرَاءٌ مَا بَعْدَ هَرَاءٍ ، وَنَقْلٌ آرَاءٌ بَعْضٌ مِّنْ عُلَمَاءِ السَّنَةِ فِي مَوْقِفِ الشِّيَعَةِ مِنَ السَّنَةِ النَّبُوَّيَّةِ الْمَطَهَّرَةِ . يَقُولُ الشِّيَخُ مُحَمَّدُ أَبُو زَهْرَةَ فِي كِتَابِهِ «الإِمام الصَّادِقُ» : «السَّنَةُ الْمُتَوَاتِرَةُ حَجَّةٌ عِنْهُمْ بِلَا خَلَافٍ فِي حَجَّيْهَا ، وَالْتَّوَاتِرُ عِنْهُمْ يُوجِبُ الْعِلْمَ الْقَطْعِيِّ . . . إِنَّ إِنْكَارَ حَجَّيَّةِ السَّنَةِ النَّبُوَّيَّةِ الْمَأْثُورَةِ بِالْتَّوَاتِرِ عَنِ الرَّسُولِ (ص) كَفَرٌ لِأَنَّهُ إِنْكَارٌ لِلرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، أَمَّا إِنْكَارُ حَجَّيَّةِ أَقْوَالِ الْأُمَّةِ فَإِنَّهَا دُونَ ذَلِكَ تَعْدُ فَسَادًا وَلَا تَعْدُ كُفَّارًا»^(١٨١) .
وَيَقُولُ الشِّيَخُ مُحَمَّدُ الْغَزَّالِيُّ فِي كِتَابِهِ «دِفَاعُ عَنِ الْعِقِيدَةِ وَالشِّرِّيعَةِ ضِدَّ مَطَاعِنِ الْمُسْتَشْرِقِينَ» : «. . . وَمِنْ هُؤُلَاءِ الْأَفَاكِينَ مَنْ رَوَّجَ أَنَّ الشِّيَعَةَ أَتَيَّعَ عَلَيْهِ ، وَأَنَّ السُّنَّيْنَ أَتَيَّعَ مُحَمَّدًا ، وَأَنَّ الشِّيَعَةَ يَرَوُنَ أَنَّ عَلَيْهَا أَحْقَى بِالرِّسَالَةِ أَوْ أَنَّهَا اخْطَأَتْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، وَهَذَا لِغُوْقِبَحٍ وَتَزوِيرٍ شَائِنٍ» ثُمَّ يَقُولُ : «إِنَّ الشِّيَعَةَ يَؤْمِنُونَ بِرِّسَالَةِ

(١٨١) كتاب «الإمام الصادق» لمحمد أبو زهرة.

محمد ويرون شرف علي في انتماهه إلى هذا الرَّسول وفي استمساكه بسته ،
وهم كسائر المسلمين لا يرون بشراً في الأولين ولا في الآخرين أعظم من
الصادق الأمين . . . فكيف يُنسب لهم هذا الهر»^(١٨٢) .

وكتب الحديث الرئيسية عند الشيعة أربعة هي :

١ - الكافي .

٢ - من لا يحضره الفقيه .

٣ - الاستبصار .

٤ - التَّهذِيب .

وجميع الروايات في هذه الكتب خاصة للتحقيق ، فيها الغث والسمين من الحديث والشيعة لا يرون جميع الروايات المخرجة في تلك الكتب صحيحة كما هو الحال عند الشيختين البخاري ومسلم في صحيحهما ، وليس عند الشيعة كتاب يوضع قيالة كتاب الله في الصحة ، ولا يتم العمل بأي من تلك الروايات إلا بعد تحقيقها ، وهذه مهمة العلماء المجتهدين في كل عصر ، وتحقيق الرواية يكون بعرضها على كتاب الله أولاً ، ثم النظر في متنها وسندتها ومقارنتها بروايات أخرى ثبتت بالتواتر القطعي وأخيراً عرضها على العقل ، وأي رواية ينقصها أحد هذه الشروط ، فإنَّ الأخذ بها يكون محل نظر وتأمل .

وفي كتاب « مصادر الحديث عند الشيعة الإمامية » للعلامة المحقق السيد محمد حسين الجلايلي ، تقسيم لأحاديث الكافي ، حيث يقول : « مجموع الأحاديث التي فيه ١٦,١٢١ حديثاً ، منها ٩,٤٨٥ حديث ضعيف ، و١١٤ حديث حسن و ١١٨ حديث موثق ، و ٣٠٢ حديث قوي ، و ٥٧٠٢ حديث صحيح » وهذا يُظهر بوضوح كيف ضعف علماء الشيعة آلاف الأحاديث في الكافي ، فأين هذه الحقيقة من تشدق بعض الأفاسين مثل ظهير ، والخطيب القائلين بأنَّ كتاب الكافي هو ك الصحيح البخاري عند السنة ثم يدعون أن اسمه « صحيح الكافي » وهذا كذب صارخ يكررونـه كثيراً في كتبهم المسمومة بهدف

(١٨٢) كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين » .

تضليل القارئ بإضفاء صفة الصحة على روایات ضعيفة اقتبسوها من الكافي أو غيره من كتب الحديث عند الشيعة لإقامة الحجة عليهم وإدانتهم بها .

وهم لا يرفضون جميع روایات صحیح البخاري ومسلم كما يدعى البعض ، ولكن لهم شروطهم الخاصة في قبول الرواية - كما مر - ، وذلك من حرصهم على صدق النقل والتثبت ، وهناك الكثير من الأحاديث المشتركة بينهم وبين أهل السنة مما رُوي في الصحيحين وغيرهما ، حيث المتن واحد بالرغم من وصول الحديث بسند مختلف ، فالخلاف ليس على السنة أو حجيتها ، بل على ثبوتها أو عدمها .

درء الشبهات حول عصمة النبي (ص) :

إن الشيعة يقدّسون سنة النبي (ص) ويرون كفر من ينكر حكماً أمر به النبي (ص) ، ويرون في شخص النبي (ص) أنه أفضل الأولين والآخرين ، وهم إذيرون ضرورة التمسك بالأئمة الإثني عشر من أهل البيت (ع) ، فلأنهم أوثق الطرق نقلًا لسنة النبي (ص) ، وهم يدرأون الشبهة عن كل ما احيط بمسألة عصمة النبي (ص) ، وينفون ما يعتقده غيرهم من المسلمين في جواز سهو النبي (ص) وخطئه ونسيه للقرآن ووقعه تحت تأثير السحر فلا يدرى أفعّل الشيء أم لم يفعله ، وغير ذلك من الافتراضات كما سترى ذلك في الروایات البخارية التالية التي نبدأها بما رواه من أن النبي (ص) لم يكن يعلم بأن ما أنزل عليه في غار حراء كان النبؤة لولا ورقة بن نوفل «النصراني» الذي أعلمته بذلك :

حتى دخل على خديجة فقال : زَمِلْنِي زَمِلْنِي . فَزَمِلْوَهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوعُ فَقَالَ : يَا خَدِيجَةُ ، مَا لِي ؟

ثُمَّ انطلقتِ بِهِ خَدِيجَةٌ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نُوفَلَ بْنَ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزَّى بْنِ قُصَيْ . وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أخْرُو أَيْمَهَا ، وَكَانَ امْرَأً تَصَرَّفَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا

شاء الله أن يكتب وكان شيئاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : أي ابن عم ، اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : ابن أخي . ماذا ترى ؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً أكون حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله : أو مخربجي هم ؟ (١٨٣) .

وتستمر الرواية بأغرب من ذلك ، فعندما يتوفى ورقة بن نوفل ، يحاول الرسول (ص) الإنتحار بسبب حزنه لانقطاع الوحي عنه فترة لولا جبريل (ع) الذي كان يطمئنه هذه المرة بعد أن كان ورقة بن نوفل يفعل ذلك :

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوفَّى وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتَرَهُ حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَا بَلَغَنَا حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكَمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِّكَيْ يُلْقِي مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جَبَرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّكَ رَسُولَ اللَّهِ حَقًا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَآشُهُ وَتَقْرُ نَفْسَهُ فِي رَحْمَهُ ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتَرَهُ الْوَحْيُ عَدَا لِيَثْلِي ذَلِكَ . فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جَبَرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ (١٨٤) .

ويررون أيضاً أن الرسول (ص) لم يكن حافظاً لجميع القرآن المنزلي عليه وكذلك سهوه عن أداء صلاة العصر في وقتها :

سَمِيعُ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ : رَحْمَةُ اللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا فِي سُورَةِ كَذَا وَكَذَا (١٨٥) .

أبا سلمة يقول : أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ جاءه عمر بن الخطاب يوم الخندق فقال : يا رسول الله ، والله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس تغرب و ذلك بعد ما أفتر الصائم . فقال النبي ﷺ : والله

(١٨٣) صحيح البخاري ص ٩٢ ج ٩ كتاب التعبير .

(١٨٤) صحيح البخاري ص ٩٣ ج ٩ كتاب التعبير .

(١٨٥) صحيح البخاري ص ٢٣٤ ج ٨ كتاب الدعوات .

ما صَلَّيْتُهَا ، فَنَزَّلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بُطْحَانَ ، وَأَنَا مَعَهُ فَتَوَضَّأْتُ ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ (١٨٦) .

وَمِنْ ثُمَّ تَقْدِيمِهِ لِإِمامَتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ جَنْبٌ ، وَصَلَاتُهُ لِلظَّهِيرَةِ رَكْعَتَيْنِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَعُدِّلَتِ الصُّفُوفُ قِيَامًا فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ ذَكَرَ اللَّهُ جُنْبًّا ، فَقَالَ لَنَا : مَكَانُكُمْ ، ثُمَّ رَجَعَ فَاغْتَسَلَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ ، فَكَبَرَ فَصَلَّيْنَا مَعَهُ (١٨٧) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : صَلَّى إِنَّا النَّبِيُّ ﷺ الظَّهِيرَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ قَامَ إِلَى خَشْبَةِ فِي مُقْدَمِ الْمَسْجِدِ ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا وَفِي الْقَوْمِ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرٌ فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ ، وَخَرَجَ سَرَعًا عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا : قَصْرَتِ الصَّلَاةُ ؟ وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُ ذَا الْيَدَيْنِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيُّ اللَّهِ ، أَنْسِيْتَ أَمْ قَصْرَتْ ؟ فَقَالَ : لَمْ أَنْسِ وَلَمْ تَقْصُرْ ، قَالُوا : بَلْ نَسِيْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : صَدَقَ ذُو الْيَدَيْنِ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ ثُمَّ كَبَرَ فَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَرَ ثُمَّ وَضَعَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَرَ (١٨٨) .

وَمِنْ ثُمَّ يَصْلُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ يَتَمَكَّنَ أَحَدُ الْيَهُودِ مِنْ أَنْ يَسْحِرَ النَّبِيَّ (ص) ، حَتَّى يَتَهَيَّأَ لِلنَّبِيِّ (ص) أَنْهُ فَعَلَ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ ، وَسُؤَالُهُ لِعَاشرَةِ أَنْزَلَ الْوَحْيَ عَلَيْهِ أَمْ لَمْ يَنْزِلْ . وَهَلْ أَتَى أَهْلَهُ أَمْ لَا ؟

يَا عَاشرَةُ ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَفْتَانَنِي فِي أَمْرٍ اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ : أَتَانِي رَجُلٌ ابْنُ أَحَدِهِمَا عِنْدَ رَجْلِيِّ وَالْآخَرُ عِنْدَ رَأْسِيِّ ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَجْلِيِّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِيِّ : مَا بِالرَّجُلِ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ ، يَعْنِي مَسْخُورًا .

(١٨٦) صحيح البخاري ص ٣٤٩ ج ١ كتاب الأذان .

(١٨٧) صحيح البخاري ص ١٦٨ ج ١ كتاب الغسل .

(١٨٨) صحيح البخاري ص ٤٨ ج ٨ كتاب الأدب .

قالَ : وَمَنْ طَبَّةُ ؟ قَالَ : لِيَبْدُونُ أَعْصَمَ (١٨٩) .

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : سُجْرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى إِنَّهُ لِيُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعُلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ عِنْدِي دَعَا اللَّهَ وَدَعَاهُ ثُمَّ قَالَ : أَشَعَّرْتَ يَا عَائِشَةَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفَتَهُ فِيهِ (١٩٠) ؟

مَكَثَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَذَا وَكَذَا ، يُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي (١٩١) .

وقد رفض الشيخ محمد عبده هذه الروايات التي تقول بوقوع الرسول (ص) تحت تأثير السحر لأنها تعارض قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ أَنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ (١٩٢) .

وعن علاقة الرسول (ص) بنسائه فإنهم يروون ما يلي :

حَدَّثَنَا أَبُو أَسَمَّةُ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَانَ فِي مَرَضِهِ جَعَلَ يَدُورُ فِي نِسَائِهِ وَيَقُولُ : أَيْنَ أَنَا غَدَا ؟ أَيْنَ أَنَا غَدَا ؟ حِرْصًا عَلَى بَيْتِ عَائِشَةَ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَمَّا كَانَ يَوْمَيْ سَكَنٍ (١٩٣) .

الزَّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَغَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَإِيَّاهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهُمَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ . وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ إِنْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمًا وَلِيَلَّتَهَا ، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بْنَتَ زَمْعَةَ وَهَبَّتْ بَوْمَهَا وَلِيَلَّتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبَعَّيْ بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ (١٩٤) .

وانظر التناقض بين الروايتين أعلاه مع الروايتين أدناه :

(١٨٩) صحيح البخاري ص ٥٧ ج ٨ كتاب الأدب .

(١٩٠) صحيح البخاري ص ٤٤٤ ج ٧ كتاب الطب .

(١٩١) صحيح البخاري ص ٥٦ ج ٨ كتاب الأدب .

(١٩٢) الفرقان : ٢٥ .

(١٩٣) صحيح البخاري ص ٧٧ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(١٩٤) صحيح البخاري ص ٤٦٢ ج ٣ كتاب الهبة .

قال : كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قال : قلت لأنسٍ أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثة (١٩٥).

أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة ولها تسع نسورة (١٩٦).

واعتماداً على الروايات السابقة وأمثالها أخذ بعض المسلمين اعتقادهم بجواز خطأ النبي (ص) وسهوه وغير ذلك ، وهكذا فإنَّ الرسول (ص) بنظرهم معصوم في الأمور الدينية أو التبليغية فقط ، أما في ماعدا ذلك فهو كسائر البشر يخطيء ويصيب ، ولا أدرى من أين جاء هذا التصنيف ؟ إنَّ أمراً لله تعالى لنا باتباع الرسول (ص) مطلقاً بلا أي قيد أو شرط ، بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَ إِلَّا وَحْيٌ ﴾ (١٩٧) وكذلك قوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ هُوَا ﴾ (١٩٨) يدلُّ على مطلق الأمر بدون تخصيص ولا قيد ، وإذا جاز أن يخطئ النبي (ص) ، فإنَّ الله تعالى يكون قد أمرنا بخطأ وهذا ما نستعيذ بالله أن نقول بمثله ، وبذلك فإنَّ أمراً لله تعالى لنا باتباع الرسول (ص) مطلقاً بدون قيد أو شرط يعني أنَّ الرسول (ص) مطلق الصحة في جميع أقواله وأفعاله وإقراراته . فمن أين جاء ذلك التحديد الذي يدعونه في عصمة النبي (ص) ؟ وهل عدم معرفة الرسول (ص) ب Maheriyah الوحي الذي أنزل عليه في غار حراء أمر دنيوي ؟ وهل نسيانه للقرآن أمر دنيوي ؟ وهل سحر بعضهم للنبي (ص) أمر دنيوي ؟

إنَّ اعتقادنا بمطلق عصمة النبي (ص) هو مرتکزنا في نفي الروايات السابقة لأنها مما ينفي عصمته (ص) . فالعصمة هي التبرئة عن الذنوب

(١٩٥) صحيح البخاري ص ١٦٥ ج ١ كتاب الغسل .

(١٩٦) صحيح البخاري ص ٥ ج ٧ كتاب النكاح .

(١٩٧) التجم : ٢ .

(١٩٨) الحشر : ٧ .

والمعاصي صغارها وكبائرها وعن الخطأ والنسىان . وبالإضافة إلى عصمة النبي (ص) بعدبعثة ، فإنه لا بد أن يكون أميناً صادقاً ومنزهاً عن الرذائل صغيرها وكبيرها قبل بعثته أيضاً كي تطمئن إليه القلوب ، وتركتن إليه النفوس وبذلك يكون مستحقاً لهذا المكان الإلهي الرفيع .

وإن تسرب الروايات التي تمثل بعض عصمة النبي (ص) بالإضافة إلى أنها من وضع الوضاعين حين تُتَخَذ مطاعن على دين الإسلام ، يحتمل أن تكون هناك أسباب أخرى لوضعها ، منها ما يصلح لأن يكون مؤيداً لموقف بعض الصحابة عندما قالوا في الرسول (ص) إنه يهجر - وهو في مرضه الأخير - عندما طلب منهم أن يأتوه بكتاب يكتب لهم حتى لا يضلوا بعده أبداً - راجع ما كتبناه بشأن رزية يوم الخميس في الفصل الأول - ، فلا غرابة بعد ذلك من وجود بعض الروايات التي تجعل من أحد الصحابة يصيب في بعض المسائل التي أخطأ فيها النبي (ص) - والعياذ بالله .

من هذه الروايات ما نسب بشأن نزول آية الحجب بعد تنبية عمر بن الخطاب لرسول الله (ص) بضرورة تحجّب نسائه :

عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ : قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ ، فَلَوْ أَمْرْتَ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ أَيْةَ الْحِجَابِ^(١٩٩) .

قالتْ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : احْجُبْ نِسَاءَكَ . قَالَتْ : فَلَمْ يَفْعَلْ . وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَخْرُجُنَّ لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بْنَتُ زَمْعَةَ وَكَانَتْ امْرَأَةً طَوِيلَةً فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ فَقَالَ عَرْفَانِكَ يَا سَوْدَةَ ، حَرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزَلَ الْحِجَابُ قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَيْةَ الْحِجَابِ^(٢٠٠) .

وأيضاً ما نسب بشأن آية النهي عن الصلاة على المنافقين بأنها نزلت

(١٩٩) صحيح البخاري ص ٢٩٦ ج ٦ كتاب التفسير .

(٢٠٠) صحيح البخاري ص ١٧٠ ج ٨ كتاب الإستidan .

مؤيدة لموقف عمر بعد أن أصرّ الرسول (ص) على الصلاة على (ابن أبي) المنافق . وعدم سماعه لاعتراض عمر على ذلك كما يروون :

قال : لَمَّا تُوفيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي جَاءَ ابْنُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطِنِي قِيمَصَكَ أَكْفَهْ فِيهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ . فَأَعْطَاهُ قِيمَصَهُ وَقَالَ لَهُ : إِذَا فَرَغْتَ مِنْهُ فَادْنَا ، فَلَمَّا فَرَغَ أَدْنَهُ بِهِ فَجَاءَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَجَدَبَهُ عُمَرُ فَقَالَ : أَلِيْسَ قَدْ نَهَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى الْمُنَافِقِيْنَ ؟ فَقَالَ - اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ - فَزَلَّتْ - وَلَا تُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبْدًا وَلَا نَقَمَ عَلَى فَبِرِهِ - فَتَرَكَ الصلاةَ عَلَيْهِمْ^(٢٠١) .

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : لَمَّا ماتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلْوَانَ دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا قامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَثَ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصِلِي عَلَى ابْنِ أَبِي ؟ وَقَدْ قَالَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا ، كَذَا وَكَذَا ، أَعْدَدْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ . فَبَيْسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ : أَخْرُ عَنِي يَا عُمَرُ ، فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ قَالَ : إِنِي خَبِرْتُ^(٢٠٢) فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يَغْفِرْ لَهُ لَوْ زِدْتُ عَلَيْهَا . قَالَ : فَصَلِّي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَاتِيَّنِ مِنْ بَرَاءَةَ - « وَلَا تُصَلِّيَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبْدًا » - إِلَى - « وَمُنْ فَاسِقُونَ » - قَالَ : فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِنْ جُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

والحقيقة في تلك الحادثة أنَّ الرسول (ص) قد خَيَر بالصلاحة على المنافقين والاستغفار بقوله تعالى : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »^(٢٠٣) وقد اختار الرسول (ص) الصلاة على ذلك المنافق لما في ذلك من فائدة عظيمة ومصلحة متواخة ،

(٢٠١) صحيح البخاري ص ٤٦٢ ج ٧ كتاب اللباس .

(٢٠٢) صحيح البخاري ص ٢٥٢ ج ٢ كتاب الجنائز .

(٢٠٣) التوبه : ٨٠ .

واستثلافاً لقومه الخزرج ، وقد أسلم بذلك منهم ألف رجل ، وقد كانت صلاته (ص) على ذلك المنافق قبل نزول النهي عن ذلك ، فآية ﴿استغفِرْ لَهُمْ أَوْلَى تَسْتَغْفِرُ ...﴾ لا تدل على النهي الذي فهمه عمر واعتراض على الرسول (ص) وخطأه بسببه ، ونزول آية النهي عن الصلاة على المنافقين لا تدلُّ قط على خطأ الرسول (ص) في صلاته على عبد الله بن أبي - والعياذ بالله - كما فهمه البعض ، فصلاته (ص) على المنافق تكون خطأ لو فعلها بعد نزول آية النهي وليس قبل . ولا يستفاد من هذه الرواية إلَّا خطأ عمر وشدة اعتراضه على الرسول (ص) ، وكما اعترض عمر بذلك ، وندم على تسرّعه حيث يُروى عنه أنه قال : «أصبت في الإسلام هفوة ما أصبت مثلها قط ، أراد رسول الله (ص) أن يصلّي على عبد الله بن أبي فأخذت بشيء فقلت له : والله ما أمرك الله بهذا ، لقد قال الله لك ﴿استغفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾ الآية (قال) فقال رسول الله (ص) : خيرني ربي فقال : ﴿استغفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ...﴾ فاخترت»^(٢٠٤) .

وقبل ذلك ما يُروى بشأن أخذ الفداء من الأسرى يوم بدر وأن الآية ﴿مَا كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾^(٢٠٥) نزلت عتاباً للرسول (ص) - كما يدعون - بسبب أخذه الفداء من أسرى بدر وعدم قتلهم في نفس الوقت الذي كان فيه عمر بن الخطاب يريد قتلهم جميعاً ، فنزلت الآية مؤيدة لرأي عمر ، ورووا ما يؤيد رأيهما قولًا وضعوه من عندهم ونسبوه إلى الرسول (ص) بشأن معنى الآية السابقة الذي يتضمن تهديداً بالعذاب الشديد . ولكن لمن ذلك التهديد؟ فكما يروون وينسبون إلى الرسول (ص) إنه قال عندما كان يبكي مع أبيه بكر: «إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ، ولو نزل عذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب» .

(٢٠٤) كنز العمال حديث رقم : ٤٤٠٤ .

(٢٠٥) الأنفال : ٦٧ .

وحقيقة هذه الحادثة أن الآية السابقة نزلت قبل معركة بدر وتنديداً بالصحابة الذين فضلوا العبر وما تحمله قافلة أبي سفيان على القتال عندما استشارهم الرسول (ص) في ذلك ليرى مدى استعدادهم لقتال المشركين ، فالنهي في الآية ليس في مطلق أخذ النبي (ص) لأسرى وإنما النهي فيأخذ الأسرى دون قتال المشركين كما كان يريد بعض الصحابة عندما استشارهم الرسول (ص) فيأخذ القافلة منهم أو قتالهم قبل بدر. وكيف يعقل أنه تكون تلك الآية - التي تهدد الذين لا يريدون اثخاناً في الأرض أي القتال - قد نزلت تنديداً بالرسول (ص) وقد أثخن في المشركين وقتلهم شرّ قتلة !! فقد قُتل في تلك الموقعة سبعون من صناديد قريش .

أبو هريرة وكثرة روایته للحادیث

أجمع رجال الحديث على أن أبو هريرة كان أكثر الصحابة حديثاً عن رسول الله (ص) على حين أنه لم يصاحب النبي (ص) إلا عاماً وتسعة أشهر - أو ثلاثة أعوام على أبعد الروايات - وقد أحوت صحاح أهل السنة له ٥٣٧٤ حديثاً روى منها البخاري ٤٤٦ حديثاً .

أما أبو هريرة نفسه فيقول إن عبد الله بن عمرو كان أكثر منه روایة للحادیث إلا أن ابن عمرو كان يكتب وهو لا يكتب :

سمِعْتُ أبا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الْمُبْشِّرِ أَحَدٌ أَكْثَرُ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلَا أَكْتُبُ ، تَابِعَهُ مَعْرُمٌ عَنْ هَمَّامٍ^(٢٠٦) .

إلا أن كل ما رواه ابن عمر ٧٢٢ حديث ، لم يخرج البخاري منها سوى سبعة أحاديث ومسلم ٢٠ حديثاً .

وقد بين أبو هريرة نفسه سبب كثرة صحبته للرسول (ص) :

شَهَابٌ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَقُولُونَ

(٢٠٦) صحيح البخاري ص ٨٦ ج ١ كتاب العلم .

إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ وَاللَّهُ الْمَوْعِدُ ، وَيَقُولُونَ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ ؟ وَإِنَّ إِخْرَجِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفَقُ بِالْأَسْوَاقِ ، وَإِنَّ إِخْرَجِي مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ ، وَكُنْتُ أَمْرَءًا مِسْكِينًا الزَّمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي . فَأَخْضُرُ حِينَ يَغْبُوُنَ ، وَأَعِي حِينَ يَنْسُونَ (٢٠٧) .

وفي ما يلي تأكيد للرواية أعلاه واعتراف من أبي هريرة بسبب استقراره في بعض الصحابة :

عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَإِنِّي كُنْتُ الْزَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْبَعُ بَطْنِي حَتَّى لَا أَكُلُّ الْخَمِيرَ ، وَلَا أَبْسُ الْحَبِيرَ وَلَا يَخْدُمُنِي فُلَانٌ وَلَا فَلَانٌ وَكُنْتُ الصَّفُ بَطْنِي بِالْحَصْبَاءِ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لَا سُتْرِيُ الرَّجُلُ الْآيَةُ هِيَ مَعِي كَيْ يُنْقَلِبَ بِي فَيُطْعَمُنِي . وَكَانَ أَخْيَرُ النَّاسِ لِلْمَسَاكِينِ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَانَ يُنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعَمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى إِنْ كَانَ لِيُخْرُجُ إِلَيْنَا الْعُكَّةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ فَنَسْقَهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا (٢٠٨) .

وَعَنْ حَبَّهِ لِجَعْفُرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الَّذِي تَبَيَّنَ الرَّوَايَةُ أَعْلَاهُ ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا أَحْتَذَى بِالنَّعَالِ وَلَا رَكَبَ الْمَطَابِيَا ، وَلَا وَطَئَ التَّرَابَ ، بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ جَعْفُرَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ » (٢٠٩) .

وَقَدْ رُوِيَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطَّابَ ضَرَبَ أَبَا هُرَيْرَةَ لِمَا سَمِعَهُ يَحْدُثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٢١٠) ، وَرَوَى ابْنُ عبدِ الْبَرِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَفْسَهُ قَالَ : لَقَدْ حَدَثْتُكُمْ

(٢٠٧) صحيح البخاري ص ٣١٣ ج ٣ كتاب المزارعة .

(٢٠٨) صحيح البخاري ص ٤٧ ج ٥ كتاب فضائل الصحابة .

(٢٠٩) أخرجه الترمذى والحاكم بإسناد صحيح .

(٢١٠) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى ص ٤١ الطبعة السادسة .

بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربني عمر بالدرة^(٢١١) ! وتأكيداً لذلك ما قاله الفقيه المحدث رشيد رضا : « لو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة »^(٢١٢) ويقول مصطفى صادق الرافعي : فكان بذلك - يعني أبو هريرة - أول راوية أتهم في الإسلام^{(٢١٣) ؟}

وعند حدوث معركة صفين بين علي ومعاوية ، انحاز أبو هريرة إلى معاوية ، وقد كُوفِيَ على حسن روايته للحديث ومناصرته لبني أمية بأن أعدقوا عليه فكان مروان بن الحكم ينبيه عنه على ولادة المدينة ، فتحولت أحواله من حال إلى حال :

قال : كنَا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانٌ مُمْسَقَانِ مِنْ كَتَانٍ ، فَتَمَخَّطَ فَقَالَ : بَخْ بَخْ ، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الْكَتَانِ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لآخر فيما بَيْنَ مَنْبِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَاشَةَ مُغْشِيًّا عَلَيَّ ، فَيَجِيءُ الْجَائِي فَيَضْطَعُ رِجْلَهُ عَلَى عَنْقِي وَيُرِي أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي جُنُونٌ ، مَا بِي إِلَّا الْجَوْعُ^(٢١٤) .

وكان من نتائج تحربه لبني أمية كتمانه لبعض الأحاديث التي كان يسمعها من رسول الله (ص) ، وخوفه على نفسه من القتل في حال روايته لها :

عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَاءَيْنِ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبَلْعُومُ^(٢١٥) .

وهذا الاعتراف يتناقض مع قول آخر له بأنه لم يكن يكتم حديثاً لخوفه من الله :

عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ : أَكْثَرُ أَبْرَوْ

(٢١١) نفس المصدر السابق .

(٢١٢) مجلة المنارج ١٠ ، ص ٨٥١

(٢١٣) تاريخ آداب العرب ج ١ ، ص ٢٧٨ .

(٢١٤) صحيح البخاري ص ٣١٧ ج ٩ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة .

(٢١٥) صحيح البخاري ص ٨٩ ج ١ كتاب العلم .

**هُرِيْرَةٌ وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا ثُمَّ يَتَّلُو - إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ
مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ - إِلَى قَوْلِهِ : الرُّجِيمُ** (٢١٦).

وَتَمَامُ الْأَيْتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ فِي الرَّوَايَةِ السَّابِقَةِ الَّتِيْنِ لَا يَكْتُمُ أَبُو هَرِيرَةَ
حَدِيثًا بِسَبِيلِهِمَا : **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهَدِيَّ مِنْ بَعْدِ مَا
بَيَّنَاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أَوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الْلَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا
وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ** (٢١٧).

بَعْدَ سُرْدِ أَمْثَالِ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ الَّتِيْ تَبَيَّنَ حَقِيقَةَ أَبِي هَرِيرَةَ وَدَرْجَةَ عَدَالِتِهِ
وَأَمَانَتِهِ فِي رَوَايَةِ الْحَدِيثِ ، يَتَضَعَّفُ السَّبِيلُ فِي إِعْرَاضِ الشِّيَعَةِ عَنْ رَوَايَاتِهِ ، الْأَمْرُ
الَّذِي جَعَلَ بَعْضَ النَّاسِ يَطْعَنُ فِي الشِّيَعَةِ بِسَبِيلِهِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا مَغَالَةً لَا نَرِى لَهَا
مَبْرَراً مَقْبُولاً وَخَصْوَصَاً مَعَ وُجُودِ كُلِّ الْبَرَاهِينِ الَّتِيْ تَبَثُّ صَحَّةَ مَا ذَهَبَنا
إِلَيْهِ . فِي اخْتِصَارِ عِلْمِ الْحَدِيثِ ، قَالَ أَبُنْ حَنْبَلٍ وَأَبُو بَكْرِ الْحَمِيدِيِّ وَأَبُو بَكْرِ
الصَّيْرِفِيِّ : لَا نَقْبِلُ رَوَايَةً مِنْ كَذَبٍ فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ تَابَ عَنِ الْكَذَبِ
بَعْدَ ذَلِكَ (٢١٨) ، وَقَالَ السَّمْعَانِيُّ : مِنْ كَذَبٍ فِي خَبْرٍ وَاحِدٍ وَجَبَ إِسْقَاطُ مَا تَقْدَمَ
مِنْ حَدِيثِهِ (٢١٩) .

وَنَعْرُضُ فِي مَا يَلِي بَعْضًا مِنْ رَوَايَاتِ أَبِي هَرِيرَةَ الَّتِيْ أَخْرَجَهَا الْبَخَارِيُّ فِي
صَحِيحِهِ : نَبَدَأُهَا بِفَقْءِ مُوسَى (ع) لِعِنْ مَلْكِ الْمَوْتِ :

ابْنُ طَلَوْسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرِيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَرْسَلَ
مَلْكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ
فَقَالَ : أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ . فَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ : ارْجِعْ
فَقْلَ لَهُ يَضُعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثُورٍ ، فَلَمَّا بَكُلَّ مَا غَطَّتْ بِهِ يَدُهُ بَكُلٌّ شَعْرَةً سَنَةً .
قَالَ : أَيْ رَبُّ ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : ثُمَّ الْمَوْتُ . قَالَ : فَالآنَ ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ

(٢١٦) صحيح البخاري ص ٨٨ ج ١ كتاب العلم.

(٢١٧) البقرة : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢١٨) اختصار علوم الحديث ص ١١١ .

(٢١٩) التقريب للنووي ص ١٤ .

يُذْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمِيَّةً حَجَرٌ (٢٢٠) .

عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفِعَةَ - : يُقَالُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ فَيَصْرُعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْمَهُ عَلَيْهَا فَتَقُولُ : قَطْ ؛ أَيْ كَفِي (٢٢١) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : كُلُّ بَنِي آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنِينِهِ بِأَصْبَعِيهِ حِينَ يُولُدُ ، غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَهَبَ يَطْعَنُ ، فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ (٢٢٢) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ ، طُولُهُ سُتُونَ ذَرَاعًا (٢٢٣) .

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوْنُسَ بْنِ مَتْئَى فَقَدْ كَذَبَ (٢٢٤) .

عَنْ سَلَمَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَغْرَى ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَنْزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَقْعُدُ ثَلَاثُ اللَّيْلَاتِ الْآخِرَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَحِبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ (٢٢٥) .

والرواية الأخيرة هذه تستحق منا وقفة عندها ، فالذين يرونها ويعتقدون بصحتها ، يعتقدون كذلك بأن الله مستقر مکانياً على العرش ، وأن نزوله هذا - على زعمهم - يكون في آخر الليل فقط ، ولكن علمنا بکروية الأرض

(٢٢٠) صحيح البخاري ص ٢٣٦ ج ٢ كتاب الجنائز .

(٢٢١) صحيح البخاري ص ٣٥٣ ج ٦ كتاب التفسير .

(٢٢٢) صحيح البخاري ص ٣٢٤ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

(٢٢٣) صحيح البخاري ص ١٦٠ ج ٨ كتاب الإستذان .

(٢٢٤) صحيح البخاري ص ٣١١ ج ٦ كتاب التفسير .

(٢٢٥) صحيح البخاري ص ١٣٦ ج ٢ كتاب التهجد .

ودورانها ، يجعل الليل موجوداً عليها كل لحظة وملة وجودها ووجود الإنسان عليها ، وهذا يعني أنه تعالى سيقى دائمًا في السماء الدنيا ، ولا نعتقد بوجود تناقض بين حقائق العلم والحقائق الإلهية ، فضلاً عن تناقض ذلك مع اعتقادهم باستقراره تعالى على العرش ، تعالى الله علوًّا كبيراً عما يصفون : فالله نور السموات والأرض لا يحده مكان ولا زمان ، ولو كان محمولاً على عرشِ للزم أن يكون الحامل أقوى من المحمول - كما رُوي عن جعفر الصادق (ع) - ولماذا يتزل ويصعد وهو أقرب إلينا من جبل الوريد .

والآحاديث السابقة من الإسرائيليات التي أكثر أبو هريرة من روایتها وذلك لكثره ملازمته لکعب الاخبار اليهودي الذي ظاهر باعتنائه الإسلام . وإضافة لتلك الروایات :

عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ ، لِيَنْعَلُهُمَا جَمِيعًا ، أَوْ لِيُخْفِهِمَا جَمِيعًا^(٢٢٦) .

عن أبي هريرة : أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُو بِهَا ، وَأَرِيدُ أَنْ أَخْتَبِي دَعْوَتِي شَفاعةً لِأُمَّتي فِي الْآخِرَةِ^(٢٢٧) .

عن سَلَمَةَ : أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : قَرَصْتُ نَمْلَةَ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَأَمْرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأَخْرَقْتُ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ، أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةً أَخْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأَمْمِ شَبَّعَ اللَّهُ^(٢٢٨) ؟

عن الأعرج ، عن أبي هريرة أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إِذَا تَوَضَأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَتَشَبَّرْ ، وَمَنْ اسْتَجْمَزَ فَلَيُوْتَرْ ، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نُوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ

(٢٢٦) صحيح البخاري ص ٤٩٦ ج ٧ كتاب الملابس .

(٢٢٧) صحيح البخاري ص ٢١١ ج ٨ كتاب الدعوات .

(٢٢٨) صحيح البخاري ص ١٦٣ ج ٤ كتاب الجهاد .

لا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَ يَدْهُ (٢٢٩).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : فَقِدَتْ أُمَّةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَدْرِي مَا فَعَلَتْ، وَإِنِّي لَا أَرَاهَا إِلَّا فَلَأَرَ إِذَا وُضَعَ لَهَا الْبَانِي إِلَيْلٍ لَمْ تَشْرَبْ ، وَإِذَا وُضَعَ لَهَا الْبَانِي الشَّاءَ شَرِبَتْ (٣٠).

أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : يَبْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ قَالَ : يَبْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ إِذَا امْرَأَهُ تَوَضَّأَ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ فَقَالُوا : لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَذَكَرْتُ عِنْتَهُ فَوَلَيْتُ مُذِبْرًا . فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ : أَعْلَمُكَ أَغَارٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ (٣١).

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ : أَنَّ رَجُلًا مِّنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْدَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ فَقَالَ لَهُ : أَسْتَأْنِي فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ : بَلِي وَلَكِنِي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ . قَالَ : فَبَذَرْ فَبَادَرَ الطَّرْفَ بِنَاهَهُ وَاسْتَوَاهُ وَاسْتَحْصَادَهُ فَكَانَ أَمْثَالُ الْجِبَالِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ، دَوْنَكَ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّهُ لَا يُشْبِعُكَ شَيْءٌ . فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : وَاللَّهِ لَا نَجِدُهُ إِلَّا قُرْشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا إِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ ، وَمَا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ ، فَضَحَّكَ النَّبِيُّ ﷺ (٣٢).

عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ : يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، يَدْخُلُانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهِدُ (٣٣).

أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : نَحْنُ

(٢٢٩) صحيح البخاري ص ١١٤ ج ١ كتاب الوضوء.

(٢٣٠) صحيح البخاري ص ٣٣٣ ج ٤ كتاب بدء الخلق.

(٢٣١) صحيح البخاري ص ٣٠٦ ج ٤ كتاب بدء الخلق.

(٢٣٢) صحيح البخاري ص ٣١٢ ج ٣ كتاب المزارعة.

(٢٣٣) صحيح البخاري ص ٦٠ ج ٤ كتاب الجهاد.

الآخرون السالكون . ويأسناده : لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له حذفه بحصاً ففقات عينه ما كان عليك من جناح (٢٣٤) .

حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام بن منبه ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظرون بعضهم إلى بعض ، وكان موسى يغتسل وحده ، فقالوا : والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ، فذهب مرأة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ، ففر الحجر بثوبه : فجتمع موسى في أثره يقول : ثوبى يا حجر ، ثوبى يا حجر حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا : والله ما يمنع موسى من بأس . وأخذ ثوبه فطريق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة : والله إنه لندب بالحجر سبعة أو سبعة ضرباً بالحجر (٢٣٥) .

حدثنا أبو اليمان : أخبرنا شعيب ، عن الزهري قال : حدثني سعيد بن المسيب : أن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر . فقام عكاشة بن مخرين الأسدي يرفع نمرة عليه ، قال : ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم ، فقال : اللهم اجعلهم منهم . ثم قام رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم . فقال رسول الله : سبقك عكاشة (٢٣٦) .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (بينما أيوب يغتسل عرياناً فخر عليه جراد من ذهب ، فجعل أيوب يختبئ في ثوبه . فناداه ربُّه : يا أيوب ألم أكن أغنتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزيزك ، ولكن لا يغنى بي عن بركتك) (٢٣٧) .

(٢٣٤) صحيح البخاري ص ١٨ ج ٩ كتاب الدبات .

(٢٣٥) صحيح البخاري ص ١٦٩ ج ١ كتاب الغسل .

(٢٣٦) صحيح البخاري ص ٤٧٣ ج ٧ كتاب اللباس .

(٢٣٧) صحيح البخاري ص ١٧٠ ج ١ كتاب الغسل .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ رَأَكَ عَلَى بَقَرَةِ التَّفْتَنِ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : لَمْ أَخْلُقْ لَهُذَا ، خَلَقْتُ لِلْجَرَانَةِ ، قَالَ أَمَّنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . وَأَحَدَ الدَّيْنُ شَاهَ فَتَبَعَهَا الرَّاعِي فَقَالَ الدَّيْنُ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ ؟ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي ؟ قَالَ : أَمَّنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ . قَالَ أَبُو سَلَمَةَ . وَمَا هُمَا يَوْمَئِذٍ فِي الْقَوْمِ (٢٣٨) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأذِينَ ، فَإِذَا قَضَى النَّدَاءَ أَقْبَلَ حَتَّى إِذَا نُوبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّوْبِ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءَ وَنَفْسِهِ ، يَقُولُ : اذْكُرْ كَذَا ، اذْكُرْ كَذَا لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرْ حَتَّى يَظْلَمَ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كُمْ صَلَى) (٢٣٩) .

وقفة مع البخاري في صحيحه

وبعد عرض الروايات السابقة التي تمس بعصمة النبي (ص)، ومن ثم مرويات أبو هريرة، أصبح من الضروري إلقاء الضوء على كتاب صحيح البخاري بصفته الذي تضمن لتلك الروايات وكذلك بصفته أصح كتب الحديث عند أهل السنة والذي يعتبرونه بعد كتاب الله في الصحة، وهنا يمكن سرّ معارضتهم لكل من يرفض حديثاً مروياً في صحيح البخاري، فهم يعتقدون جزماً بصحة جميع ما فيه.

وقد أخرج البخاري أحاديثه - الصحيحه برأيه - من ٦٠٠ ألف حديث، وكما رُوي عن الشيخ البخاري نفسه إذ قال: «لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر» (٢٤٠).

ومأخذنا الأول على الشيخ البخاري هو اعتماده على عدالة سلسلة رواة

(٢٣٨) صحيح البخاري ص ٢٩٧ ج ٣ كتاب المزارعة .

(٢٣٩) صحيح البخاري ص ٣٣٦ ج ١ كتاب الأذان .

(٢٤٠) ابن حجر في مقدمة فتح الباري .

الحديث كشرطه الوحيد لإثبات صحة الحديث المروي دون النظر إلى متنه وما احتواه من معنى ، فكان الاضطراب في كثير من الروايات التي من الممكن أن تتخذ مطاعن في الدين . فالراوي حتى لو كان عدلاً ، لا تمنع عدالته من نسيانه جزءاً من الحديث الذي سمعه فضلاً عن احتمال روايته للحديث بالمعنى لا بعين اللفظ الذي سمعه ، الأمر الذي يفقد الحديث جزءاً من ألفاظه الأصلية والتي يمكن أن يكون لها معنى آخر لم يتتبه له الراوي فنقله بمعنى آخر ، فإذا أضفنا صعوبة الوقوف على عدالة الرجال ، وخصوصاً المنافقين منهم ، الذين لا يعلم سرائهم سوى رب العباد ، يتضح لنا العيب الأكبر في شرط البخاري في إخراجه لأحاديثه الصحيحة ، وكما قال أحمد أمين : « إن بعض الرجال الذين رووا لهم غير ثقات ، وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو الشمانيين »^(٢٤١) .

ونعرض في ما يلي مزيداً من الروايات التي عدّها البخاري صحيحة ، وألزم بعض المسلمين بها أنفسهم على مر العصور :

وإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيَ يُنَادِي : لِيَلْحِقْ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، وَإِنَّمَا نَتَظَرُ رَبِّنَا . قَالَ : فَيَأْتِيهِمْ الْجَبَارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوْلَ مَرَّةً ، فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا ، فَلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ فَيَقُولُ : هَلْ يَبْيَنُوكُمْ وَبِيَّنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ ؟ فَيَقُولُونَ السَّاقُ ، فَيَكْسِفُ عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ^(٢٤٢) .

قَالَ : كُنَّا جُلُوسًا لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً أَرْبَعَ عَشْرَةً فَقَالَ : إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤُيَتِهِ ، فَإِنَّكُمْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا ، ثُمَّ قَرأً - وَسَبَّخَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

(٢٤١) ضحي الإسلام لأحمد أمين ج ٢ ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٢٤٢) صحيح البخاري ص ٣٩٦ ج ٩ كتاب التوحيد .

إنَّ الرَّوَايَتَيْنِ أَعْلَاهُ اللَّتِيْنِ يُفَهَّمُ مِنْهُمَا إِمْكَانِيَّةَ رَؤْيَا اللَّهِ تُرَدَّانَ بَأْنَ الَّذِيْنَ آتَيْنَا بِإِمْكَانِيَّةِ رَؤْيَا اللَّهِ أَخْطَلُوا بِتَأْوِيلِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى « وَجْهٌ يَوْمَنْ نَاضِرٍ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرٌ » وَإِنَّ تَأْوِيلَهَا الصَّحِيحُ هُوَ إِلَى أَمْرِ رِبِّهَا نَاظِرَةٌ أَيْ مَنْتَظَرَةٌ ، وَهَذَا تَوْرُّلُ سَائِرِ الْآيَاتِ الَّتِي ظَاهِرُهَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَسْمٌ . وَيُؤَيِّدُ مَا نَذَهَبُ إِلَيْهِ هَذِهِ الرَّوَايَةُ الَّتِي يَنْقُلُهَا الْبَخَارِيُّ نَفْسَهُ أَيْضًا :

عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يَا أُمَّتَاهُ ، هَلْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا رَبَّهُ ؟ فَقَالَتْ : لَقَدْ قَفَ شَعْرِي مِمَّا قُلْتُ ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مِنْ حَدَّثَكُمْ فَقَدْ كَذَبَ ؟ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَبَّهُ رَأَيْتَ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ . ثُمَّ قَرَأْتُ لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيْرُ - . وَمَا كَانَ لِيَشْرُ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ - (٢٤٤) .

وَنَتَابَعُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَوَايَاتِهِ الْعَجِيْبَيْهِ :

قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَجُدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أَصْبَعٍ ، وَالْأَرْضَيْنِ عَلَى أَصْبَعٍ ، وَالشَّجَرَ عَلَى أَصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى أَصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلَاقِ عَلَى أَصْبَعٍ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، فَضَحَّكَ النَّبِيُّ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى بَدَأَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - . وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ - (٢٤٥) .

فَيَقُولُونَ : يَا آدَمُ ، أَمَا تَرَى النَّاسَ ؟ خَلَقَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ (٢٤٦) .

(٢٤٣) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ صِ ٣٥٥ جِ ٦ كِتَابُ التَّفْسِيرِ .

(٢٤٤) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ صِ ٣٥٩ جِ ٦ كِتَابُ التَّفْسِيرِ .

(٢٤٥) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ صِ ٣١٧ جِ ٦ كِتَابُ التَّفْسِيرِ .

(٢٤٦) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ صِ ٣٧٣ جِ ٩ كِتَابُ التَّوْحِيدِ .

قالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ رَجُلٌ فَقِيلَ : مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ . فَقَالَ : بِالشَّيْطَانِ فِي أَذْنِهِ^(٢٤٧) .

فَقَالَ عُمَرُ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّبِيِّ قَالَ : إِنَّ الْمَيْتَ لَيُعَذَّبُ بِبَكَاءِ الْحَيِّ^(٢٤٨) .

ولماذا سيعذب الميت بكاء أهله عليه ، والله تعالى يقول ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازْرَةً وَزَرَ أَخْرَى ﴾^(٢٤٩) .

قالَ : خَمَرُوا الْأَنَيَّةَ ، وَأَوْكَنُوا الْأَسْقِيَّةَ ، وَأَجْفَفُوا الْأَبْوَابَ ، وَأَكْفَثُوا صِبَّيْنَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ اتِّشَارًا وَخَطْفَةً ، وَأَطْفَثُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ فَإِنَّ الْفُوْسِقَةَ رُبِّمَا اجْتَرَّتِ الْفَتِيَّةَ فَأَخْرَقَتِ أَهْلَ الْبَيْتِ^(٢٥٠) .

قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ : إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَبَرُّ وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلَاةَ حَتَّى تَغِيبَ ، وَلَا تَحْتَشُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غَرُوبَهَا . فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيِّ شَيْطَانٍ ، أَوِ الشَّيْطَانِ ، لَا أَذْرِي أَيْ ذَلِكَ قَالَ هِشَامٌ^(٢٥١) .

عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ عَرَبَتِ الشَّمْسُ : تَذَرِّي أَيْنَ تَذَهَّبُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهَا تَذَهَّبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فِيؤَذَنُ لَهَا وَتُؤْشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يَقْبِلُ مِنْهَا . وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤَذَنُ لَهَا ، فَيُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى - ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقِرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ ﴾

(٢٤٧) صحيح البخاري ص ١٣٥ ج ٢ كتاب التهجد .

(٢٤٨) صحيح البخاري ص ٢١٢ ج ٢ كتاب الجنائز .

(٢٤٩) صحيح البخاري ص ٣٣٦ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

(٢٥٠) الإسراء : ١٥ .

(٢٥١) صحيح البخاري ص ٣١٩ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

لا أدرى عن مدى انتفاق الروايتين الأخيرتين على العلم؟ وهل يقبل مثلها المسلمون وعلماؤهم ومحققوهم خاصة الذين يؤمنون أن الإسلام لا يتعارض مع العلم؟؟

وكذلك ، هل من سبيل للتوفيق بين الروايتين البخاريتين التاليتين ؟ :

ابن جُبَير قال : قال لـي ابن عَبَّاسٍ : هل تزوجت؟ قـلت : لا ،
قال : فتزوج فإنَّ خـير هـذه الـأمةِ أكثـرـهـا نـسـاء (٢٥٣) .

عـبـد اللـهـ بـن عـمـر رـضـي اللـهـ عـنـهـمـا : أـنـ رـسـوـل اللـهـ ﷺ قـالـ : الشـؤـمـ
فـي الـمـرـأـةـ . وـالـدـارـ ، وـالـفـرـسـ (٢٥٤) .

إن إثباتنا عدم صحة جميع ما رُوي في صحيح البخاري يجعلنا نحكم بأنه لا يكفي أن يكون أي حديث ورد في كتابه صحيحاً ، لمجرد أن الشيخ البخاري أعطاه صفة « الصحيح » . وبما أن أحكاماً كثيرة قد بُنيت حول هذا الصحابي أو ذاك ، وعقائد كثيرة قد أخذ بها مثل إمكانية رؤية الله تعالى أو عدم اكتمال عصمة النبي (ص) مثلاً بناءً على أحاديث مروية في صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث ، فإن ذلك يوجب مراجعة التاريخ الإسلامي ، وتمحیص وعدالة الرواية من الصحابة والتابعين ، لما عرفنا من زيف الكثير مما رُوي في صحيح البخاري وغيره من أحاديث احتلت مكان الاعتبار والتصديق عند بعض المسلمين بالرغم مما فيها من شبكات وخرافات تُـتـخـذـ مـطـاعـنـ عـلـى دـيـنـ الإـسـلـامـ .

(٢٥٢) صحيح البخاري ص ٢٨٣ ج ٤ كتاب بدء الخلق .

(٢٥٣) صحيح البخاري ص ٥ ج ٧ كتاب فضائل الصحابة .

(٢٥٤) صحيح البخاري ص ٢١ ج ٧ كتاب النكاح .

الفصل الخامس

الزواج المؤقت

هوما يُعرف أيضاً بـ زواج «المتعة»، وهو أن تزوج المرأة نفسها للرجل بمهر معلوم إلى أجل مسمى بعد نكاح جامع لشروط الصحة الشرعية ، صيغته بأن تقول المرأة للرجل بعد الإتفاق والتراضي على المهر والأجل « زوجتك نفسك بمهر قدره - كذا - إلى - الأجل المعلوم » وتسمى مدة معينة على الضبط ، فيكون جواب الرجل على الفور « قبلت » . وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود . ويتمام شروط العقد ، تصبح المرأة زوجة للرجل ، والرجل زوجاً لها إلى نهاية المدة المعينة في العقد - ولهمما أن يجدداه إلى فترة أخرى ، ويجب على الزوجة أن تعتد بعد انقضاء المدة بـ قرءين (حيضتين) إذا كانت تحيسن ، وإنـاـ فـ بـ خـ مـ سـةـ وـ أـ رـ بـ عـ يـ نـ يـ مـ اـ وـ وـ لـ دـ الـ مـ تـ عـ ذـ كـ رـ أـ كـ اـ نـ أـ نـ شـ يـ يـ لـ يـ يـ يـ .

وال المسلمين على اختلاف مذاهبهم يتفقون على أن هذا النوع من الزواج مما شرع في صدر الإسلام ، ونزلت فيه الآية ﴿فَمَا أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مَنْ هُنَّ فَاتَّوْهُنَّ أَجْوَرُهُنَّ فَرِيشَةٌ﴾^(٢٠٥) . وقد فسر معظم مفسري أهل السنة الاستمتاع في هذه الآية بنكاح المتعة ، وكان ابن عباس وأبي بن كعب وسعيد بن جبير يقرأون الآية

. ٢٤) النساء : (٢٥٥)

مكذا « فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فاتوهن أجورهن »^(٢٥٦) ، وقال ابن كثير في تفسيره موضحاً ذلك : « ومن البعيد أن يؤمن هؤلاء بتحريف القرآن ، فلا بد أن يراد بذلك التفسير لا القراءة . . . »^(٢٥٧) ، فنزول هذه الآية في زواج المتعة مما لا ينبغي أن يكون موضعأ للكلام ، وإنما الكلام كل الكلام في أن هذه منسوبة أو غير منسوبة ؟ أي هل حُرمت بعد تحليلها أم بقيت على حلتها ؟؟

في البداية نعرض بعضأ مما روی من أحاديث ثبت تشريع زواج المتعة في الإسلام فمما أخرجه البخاري في صحيحه :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنُّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ مَعَنَا نِسَاءٌ فَقُلْنَا : أَلَا نَخْتَصِي ؟ فَنَهَا عَنْ ذَلِكَ فَرَحْصَ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نَتَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ بِالثُّوْبِ ثُمَّ قُرَا - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيَّبَاتٍ مَا أَخْلَلَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ - (٢٥٨) .

والحديث التالي يثبت بما لا يقبل أي شك أن الرسول (ص) مات دون أن يحرم زواج المتعة ، وأن الذي نهى عنه إنما رجل آخر بعد وفاة الرسول (ص) :

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ : نَزَّلْتُ آيَةَ الْمُتَعَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَفَعَلْنَاهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يُنَزَّلْ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ وَلَمْ يَنْهِ عَنْهَا حَتَّى ماتَ ، قَالَ رَجُلٌ بِرَأْيِهِ مَا شَاءَ (٢٥٩) .

والرجل الذي يشير إليه الحديث السابق ما هو إلا الخليفة عمر بن الخطاب الذي ثبت أنه المحرم لهذا الزواج كما جاء في شرح الباري على صحيح البخاري : انظر الهاشم أدناه بالترجمة الإنجليزية .

(٢٥٦) تفسير ابن كثير ، شرح النووي على صحيح مسلم ، تفسير القرطبي .

(٢٥٧) تفسير ابن كثير .

(٢٥٨) صحيح البخاري ص ١١٠ ج ٦ كتاب التفسير .

(٢٥٩) صحيح البخاري ص ٣٤ ج ٦ كتاب التفسير .

وجاء في صحيح البخاري أيضاً في باب التمتع على عهـد
رسـول الله ﷺ .

حدثنا موسى بن إسماعيل : حدثنا همام : عن قتادة قال :
حدثني مطرف ، عن عمراً رضي الله عنه قال : تمتعنا على عهـد
رسـول الله ﷺ ونزل القرآن ، وقال رجلٌ برأيه ما شاء (٢٦٠) .

ومن الواضح كيف تلاعب المترجم بتخصيصه للتمتع الوارد في رواية
عمران بأنه حج التمتع وليس متـعة النساء . وعلى كل حال فإنـ الذي بهمنا ما
رـوي في صحيح البخاري فقط ، ولم تكن إشارتنا للترجمة إلا لإظهـار ما نقلـه
المترجم عن شرح الباري في صحيح البخاري بخصوص الرجل المجهـول في
الرواية .

وتـأكـيداً لـذلك ما يروـيه مسلم في صـحـيـحـه بالإـسنـادـ إلىـ ابنـ نـضـرةـ قالـ :
كانـ ابنـ عـبـاسـ يـأـمـرـ بـالـمـتـعـةـ ، وـكـانـ ابنـ الزـبـيرـ يـنـهـىـ عـنـهاـ ، فـذـكـرـتـ ذـلـكـ لـجـابـرـ
فـقـالـ : «ـ تـمـتـعـنـاـ مـعـ رـسـولـ اللهـ (صـ)ـ فـلـمـ قـامـ عـمـرـ ، قـالـ : إـنـ اللهـ يـحـلـ لـرـسـولـهـ
بـمـ شـاءـ ، فـأـنـمـاـ الـحـجـ وـالـعـمـرـ وـابـتـواـ نـكـاحـ هـذـهـ النـسـاءـ فـلـنـ أـوـتـيـ بـرـجـلـ نـكـحـ
أـمـرـأـ إـلـىـ رـجـلـ إـلـاـ رـجـمـتـهـ بـالـحـجـارـةـ » (٢٦١) .

وفي صحيح الترمذـيـ : عنـ عبدـ اللهـ بنـ عمرـ وـقـدـ سـأـلـهـ رـجـلـ مـنـ أـهـلـ الشـامـ
عـنـ مـتـعـةـ النـسـاءـ فـقـالـ هيـ حـلـالـ ، فـقـالـ : إـنـ أـبـاكـ قـدـ نـهـىـ عـنـهاـ ، فـقـالـ ابنـ
عـمـرـ : أـرـأـيـتـ إـنـ كـانـ أـبـيـ يـنـهـىـ عـنـهاـ وـصـنـعـهـ رـسـولـ اللهـ (صـ)ـ تـرـكـ السـنـةـ وـتـبـعـ
قـوـلـ أـبـيـ (٢٦٢ـ)ـ ، وـفـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ أـيـضاـ مـاـ رـوـيـ : «ـ . . .ـ ثـمـ ذـكـرـواـ مـتـعـةـ
فـقـالـ : نـعـمـ ، اـسـتـمـتـعـنـاـ عـلـىـ عـهـدـ رـسـولـ اللهـ وـأـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ » (٢٦٣ـ)ـ .

(٢٦٠) صحيح البخاري ص ٣٧٥ ج ٢ كتاب الحج .

(٢٦١) صحيح مسلم : بـابـ المـتـعـةـ بـالـحـجـ وـالـعـمـرـ .

(٢٦٢) صحيح الترمذـيـ .

(٢٦٣) صحيح مسلم : بـابـ نـكـاحـ المـتـعـةـ كـتـابـ الحـجـ .

وقد اشتهر حبر الأمة عبد الله بن عباس (رض) برأيه أن آية المتعة لم تنسخ كما يورد ذلك الزمخشري في تفسيره الكشاف حيث ينقل عن ابن عباس أن آية المتعة من المحكمات ، وفي صحيح البخاري ما يؤكّد ذلك أيضًا :

قال : سمعت ابن عباس يُسأَلَ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ فَرَأَخْصَ ، فَقَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الْحَالِ الشَّدِيدِ ، وَفِي النِّسَاءِ قِلَّةٌ أَوْ نَحْوُهُ . فَقَالَ ابن عباس : نَعَمْ^(٢٦٤) .

وبالرغم من وضوح كل تلك الأدلة وضوح الشمس في رابعة النهار بشأن دوام حل زواج المتعة ، فإنّ الذي عليه غالبية جمهور أهل السنة اليوم عكس ذلك ، وإن الآية الخاصة في هذا النكاح يزعمون أنها نسخت ، وقد اختلفوا في الناسخ ، فمنهم من قال إنه آية من الكتاب ، ومنهم من قال إن الناسخ روایات من السنة . ونرد كلا الرأيين بالأحاديث القطعية الثبوت السابقة والتي تدل على موت الرسول (ص) دون أن ينهى عنها ، وأما من قال إن الناسخ هو آية من الكتاب هي «والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم»^(٢٦٥) ، فيكفي لرد رأيهم هذا أن نلتفت النظر إلى أن هذه الآية التي يزعمون أنها ناسخة لآية المتعة هي «مكية» ، بينما آية المتعة «مدنية» أو حكم تشرع زواج المتعة «مدنية» أي بعد نزول آية «والذين هم لفروجهم حافظون ... الخ» والسابق لا ينسخ اللاحق .

وأما من قال إن الناسخ كان السنة المروية عن الرسول (ص) ، فإن تلك الأحاديث التي يزعمون أنها ناسخة ، تتناقض بعضها مع بعض ، فمنهم من قال أنها نسخت في خير ، وآخر في أوطاس ، وثالث يوم فتح مكة ، ورابع في غزوة تبوك ، وخامس في عمرة القضاء ، وسادس في حجة الوداع ، وما اضطراب تلك الروايات وتناقضها إلا دليل على عدم صحتها ، هذا بالإضافة إلى أن تلك الروايات لا تخرج عن كونها من أخبار الأحاديث التي لا تصلح أن تكون ناسخة

(٢٦٤) صحيح البخاري ص ٣٦ ج ٧ كتاب النكاح .

(٢٦٥) المؤمنون : ٥ .

لحكم نصّ عليه القرآن وثبت تشريعه بإجماع المسلمين، لأن النسخ لا يقع بخبر الأحاد إجماعاً، والآية لا تنسخها إلا آية بدليل قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »^(٢٦٦) .

والذي يمكن أن يبرر اجتهاد عمر في تحريم نكاح المتعة هو أن أحد المسلمين واسمه عمرو بن حرث يرى أساء استعمال هذا التشرع فأثار حفيظة الخليفة عمر ودفعه إلى هذا التحريم! ولدليل ذلك ما يرويه مسلم في صحيحه عن جابر : « كنا نتمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنها شأن عمرو بن حرث »^(٢٦٧) . وقد أخرج الطبراني والشعلبي في تفسيريهما بالإسناد إلى علي قال : « لولا أن نهى عمر عن المتعة ما زنى إلا شقي »^(٢٦٨) وفي رواية « شفن » أي قليل .

بعد كل هذه النصوص الصريرة التي تثبت مشروعية نكاح المتعة وعدم نهي النبي (ص) عنها ، وبقاء حلها حتى نهى عنها الخليفة عمر (رض) زمن خلافته ، لا نجد حلاً لهذه العقدة إلا أن الخليفة عمر قد اجتهد برأيه لمصلحة رأها - بنظره - للMuslimين في زمانه وأيامه ، أفتضلت أن يمنع من استعمال المتعة منعاً مدنياً لا دينياً لمصلحة زمية ، لأن الخليفة عمر أجل مقاماً وأسمى إسلاماً من أن يحرم ما أحلَ الله أو يدخل في الدين ما ليس من الدين وهو يعلم أن حلال محمد حلال إلى يوم القيمة ، وحرام محمد حرام إلى يوم القيمة ، فلا بد أن يكون مراده المنع الزمني والتحريم المدني لا الديني . وموقفه المتشدد هذا بشأن نكاح المتعة ليس الأول من نوعه ، فقد عرف عنه الشدة والخشونة في عامة أموره ويجهد في ذلك مبتغي تحقيق المصلحة العليا - بنظره - للإسلام وإقامة الشرائع ! ومن الأمثلة على اجتهاد عمر في بعض الأحكام وتشدد فيها هو أمرُه المسلمين أن يؤدوا نافلة رمضان جماعة بعد أن كانت تؤدى فرادى على عهد رسول الله (ص) :

(٢٦٦) البقرة : ١٠٦ .

(٢٦٧) صحيح مسلم : باب نكاح المتعة كتاب النكاح .

(٢٦٨) تفسير الطبراني ، تفسير الشعلبي .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْسَابًا غُفرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . قَالَ ابْنُ شَهَابٍ : فَتَوْفَيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَصَدَرَ مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَلَةَ رَمَضَانَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ أَوْزَاعُ مُتَفَرِّقُونَ ، يُصَلِّي الرَّجُلُ لِنَفْسِهِ وَيُصَلِّي الرَّجُلُ فَيُصَلِّي بِصَلَاتِهِ الرَّهْطُ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لَوْ جَمَعْتُ هَؤُلَاءِ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلُ ، ثُمَّ عَزَمَ فَجَمَعَهُمْ عَلَى أَبِي بْنِ كَعْبٍ . ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُ لِيَلَةَ أُخْرَى وَالنَّاسُ يُصَلِّونَ بِصَلَاتِهِ قَارِئِهِمْ ، قَالَ عُمَرُ : بِنَعْمَ الْبَدْعَةِ هَذِهِ ، وَالَّتِي يَنَامُونَ عَنْهَا أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي يَقُولُونَ ، يُرِيدُ آخِرَ اللَّيْلِ . وَكَانَ النَّاسُ يَقُولُونَ أَوَّلَهُ (٢٦٩) .

وقد اجتهد أيضاً في تلك النافلة - التي سميت بصلوة التراويف - بزيادة عدد ركعاتها إلى عشرين :

عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَيْفَ كَانَتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشَرَةِ رَكْعَةً (٢٧٠) .

ولكن بعض المعاصرين لل الخليفة عمر ، ومن بعده بعض المحدثين البسطاء ، استكروا منه أن يحرّم ما أحلَ الله ، واضطروا إلى استخراج مبرر لذلك ، فلم يجدوا سوى دعوى النسخ من النبي (ص) بعد الإباحة ، فارتباوا ذلك الإرتباك واضطربت كلماتهم ذلك الاضطراب ؛ وانظر الرواية التالية لترى مدى الإضطراب والارتباك . الذي نتحدث عنه ، والأدهى أن واقعبي تلك الرواية نسبوها إلى علي وبنيه :

(٢٦٩) صحيح البخاري ص ١٢٦ ج ٣ كتاب صلاة التراويف .

(٢٧٠) صحيح البخاري ص ١٣٧ ج ٢ كتاب التهجد .

الرَّهْرِيُّ . عَنْ الْحَسَنِ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَىٰ ، عَنْ أَبِيهِمَا : أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَا يَرَى بِمُتْعَةِ النِّسَاءِ بَأْسًا . فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَهَىٰ عَنْهَا يَوْمَ خَيْرٍ ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الإِنْسِيَّةِ . وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ : إِنَّ اخْتَالَ حَتَّى تَمَتَّعَ فَالنَّكَاحُ فَاسِدٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : النَّكَاحُ جَائزٌ وَالشَّرْطُ باطِلٌ^(٢٧١) .

فلو فهم هؤلاء علة نهي الخليفة عنها لأغناهم ذلك عن هذا التكلف والارتباك .

إن النظر في زواج المتعة كان سابقاً من ناحيته الدينية والتاريخية . أما النظر فيه من الناحية الأخلاقية والإجتماعية ، فقد جاء تشريعه رحمة للبشر ورخصة للكثيرين ، لا سيما المسافرين في طلب علم أو تجارة أو جهاد أو مرابطة ثغر ، ومع تعذر الزواج الدائم عليهم ، لماله غالباً من التبعيات واللوازم التي لا تتمشى مع حالة المسافرين ، وبخاصة منهم الذين هم في ريعان الشباب وتأجج سعي الشهوة ، فإن حالهم لا يخلو من أمرتين : إما الصبر ومجاهدة النفس الموجب للمشقة التي تؤدي إلى أمراض مزمنة وعقل نفسية مهلكة وغير ذلك من الأضرار التي لا تخفي على أحد ، وإما الوقوع في الزنا الذي ملا الدنيا بالمفاسد والأضرار ، وقد روى عن ابن عباس في ذلك : « ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد ولو لا نهيه (يعني عمر) ما زنى إلا شقيّ »^(٢٧٢) .

ومما يؤكّد الضرورة الأخلاقية والاجتماعية لمشروعية هذا النوع من النكاح المؤقت ، ما أفتاه بعض المسلمين في وقتنا المعاصر بجواز نكاح من نوع آخر يُرخص للمسافر وحده حلاً لمشكلته في عدم القدرة على الزواج الدائم ، وصفة هذا النكاح أنه مؤقت من جانب الرجل ، دائم من جانب المرأة ، وعند انتهاء المدة التي أضمرها الزوج في نفسه دون علم أحد غيره فيها ، يفاجئ زوجته

(٢٧١) صحيح البخاري ص ٧٦ ج ٩ كتاب الإكراه .

(٢٧٢) النهاية لأبي الأثير .

(المسكينة) بالطلاق . ولذلك فقد سموا هذا النوع من الزواج بإسم « الزواج بنية الطلاق » ، وبالرغم من اعتراف مبتدعيه بأنه يتضمن الكذب على الزوجة وخداعها ، وبالرغم من عدم وجود أي دليل عليه من الكتاب أو السنة النبوية فإنهم يمارسونه بحججة أنَّ ضرره على كل حال يبقى أخف وطأة من مفاسد الزنا . . . كل ذلك لأنهم اعتقادوا ببطلان نكاح المتعة الذي جاء حله في الكتاب العزيز والسنَّة النبوية ، فيكونون بذلك قد استبدلوا بدعة ابتدعواها بحكم الله : « أتستبدلُونَ الَّذِي هُوَ أَنْدَنِي بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » ، فلا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . .

وأما متعة الحج

فقد عملها رسول الله (ص) وأمر بها مصداقاً لقوله تعالى : « فَمَنْ تَمْتَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجَّ . . . ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِيَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ »^(٢٧٣) والمقصود بذلك هو الاعتمار في أشهر الحج قبل الحج ، وهو فرض على من لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام . وقد قبل عنه التمتع بالحج لما فيه من المتعة : أي اللذة بياحة محظوظ الإحرام في المدة المتخللة بين الإحرامين - إحرام المتعة وإحرام الحج - ، وهذا ما كرهه الخليفة عمر أيضاً ونهى عنه بالرغم من أنَّ الرسول (ص) مات دون أن ينهى عنه .

سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ قَالَ : أَخْتَلَفَ عَلَيَّ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَهُمَا بَعْسَفَانُ فِي الْمَتْعَةِ ، فَقَالَ عَلَيَّ : مَا تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَنْهَى عَنْ أَمْرٍ فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلَيَّ أَهْلَ بِهِمَا جَمِيعاً^(٢٧٤) .

الْحَكَمُ قَالَ شَهَدْتُ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَعُثْمَانُ يَنْهَا عَنِ الْمَتْعَةِ وَأَنْ يُجْمَعَ بِيَنْهَمَا . فَلَمَّا رَأَى عَلَيًّا أَهْلَ بِهِمَا : لَبِّيْكَ بِعُمْرَةِ وَحْجَةِ ، قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَدْعَ سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ^(٢٧٥) .

(٢٧٣) البقرة : ١٩٦ .

(٢٧٤) صحيح البخاري ص ٣٧٤ ج ٢ كتاب الحج .

(٢٧٥) صحيح البخاري ص ٣٧١ ج ٢ كتاب الحج .

واما عذر عثمان في رأيه ذلك ، فهو أنه قبل أن تؤخذ البيعة له ك الخليفة ، اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف - بوصية من الخليفة عمر - أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيفيين ، كما مر في فصل سابق .

وقد توادر عن الخليفة عمر قوله : « متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) ، وأنا أنھي عنهما »^(٢٧٦) . ويعني بذلك متعتي النساء والحج .

فكلام الخليفة عمر هذا يظهر أن التصرف في حكمهما ، إنما هو منه لا من سواه ، فهو يقر أن المتعتين كانتا على عهد النبي (ص) ، ولم ينسب النهي عنهما إلى الرسول (ص) ، بل أسند النهي عنهما إلى نفسه بقوله : « وأنا أنھي عنهما » . ورحم الله من قال في شأن حديث الخليفة عمر الأخير أعلاه : « قبلنا شهادته ولم نقبل تحريمها » ! .

(٢٧٦) التفسير الكبير للرازي ، والطبراني وغيرهما .

الفصل السادس

الحقيقة

وهي أن يتكتّم الإنسان بحقيقة معتقده انتقاء لمواضع الخطر إذا أحس بخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به .

وقد وجد بعض الناس يُشتبئون على الشيعة لاعتقادهم بالحقيقة جهلاً منهم بمعناها وبموقعها وحقيقة مغزاها ، ولو ثبّتوا في الأمر وترثّبوا في الحكم لعرفوا أنَّ التقية التي تقول بها الشيعة لا تختص بهم ، ولم ينفردوا بها ، بل هي أمر من ضرورة العقل وجرائم البشر وشريعة الإسلام ، وكل إنسان مجبر على الدفاع عن نفسه ، والمحافظة على حياته وهي أعزّ الأشياء عليه وأحبابها إليه . نعم ، قد يهون بذلها في سبيل الشرف وحفظ الكرامة وصيانة الحق ، أما في غير هذه المقاصد الشريفة والغايات المقدسة ، فالتفريط بها والقاومها في مواطن الخطر سفه وحمق لا يرتضيها عقل ولا شرع ، وقد أجاز الإسلام للمسلم في مواطن الخوف ، إخفاء الحق والعمل به سرّاً ريشما تنتصر دولة الحق على دولة الباطل ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَقْوُا مِنْهُمْ نَفَاة﴾^(٣٧٧) وقوله : ﴿إِلَّا مِنْ أَكْرَه﴾

(٢٧٧) آل عمران : ٢٨ .

وقلبه مطمئن بالإيمان ﴿٢٧٨﴾ .

وقصة عمار وأبوه وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة لحملهم على الشرك واظهارهم الكفر مشهورة .
والعمل بالثقة له أحكام ثلاثة :

- ١ : واجب - وذلك إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة .
- ٢ : رخصة - وذلك إذا كان في تركها والظهور بالحق تقوية له ، فله أن يضحي بنفسه ، وله أن يحافظ عليها .
- ٣ : حرام - وذلك إذا كان العمل بها موجباً لرواج الباطل وإضلال الحق ، وإحياء الظلم والجور .

ومن المعروف أنَّ أتباع مذهب الشيعة الإمامية ، وأئمتهم لا قوا من ضروب المحن وصنوف الضيق على حرباتهم في جميع العهود ما لم تلقيه أية طائفة أو أمة أخرى ، فأضطروا في أكثر عهودهم إلى استعمال الثقة بمكتامة المخالفين لهم لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا ، ولهذا السبب عرموا بالثقة أكثر من سواهم .

الخاتمة

لقد بَيَّنا في فصول هذا البحث أهم ما أختلف فيه بين السنة والشيعة ، وبين وجه الصواب فيها من خلال عرض الكثير من الأدلة والبراهين المأخوذة أغلبها من صحيح البخاري ، وهو الذي يُعتبر أهم المصادر ثقة عند أهل السنة بعد كتاب الله .

وما كانت كتابتنا لهذه السطور وبهذه الطريقة التي قد تؤلم بعض الناس إلا وسيلة أضطررنا إليها بعد أن جاوز المفترون المدى كذباً وتضليلًا ، وقد رموا الشيعة بأشنع التهم والإفتراءات من شرك وتمجس وتنصر وتهود حتى آفوا بتكفيرونهم .

وقد أخذت الوهابية على عاتقها هذه الموجة الهوجاء التي تسبيت في إحداث هذه الفتنة الكبيرة بين المسلمين ، وتضليل البسطاء منهم مستغلين كل وسيلة غير شرعية من كذب وتزوير في الحقائق للوصول إلى غاياتهم في تفريق الأمة وإراضاً لأساذهم الذين غاظهم أن يروا العملان الإسلامي يتململ ويصحو من سباته العميق . وإنماذا لم تَرَ هذا النوع من الفتنة ينموا ويكبر إلا بعد نجاح الثورة الإسلامية المباركة ؟؟

تلك الثورة التي هزَّت عروش الطغاة والجبابرة والتي أَمَّلَ بها جميع

المسلمين - على اختلاف مذاهبهم - الخير والأمل بأخذ زمام المبادرة في طريق عودة المسلمين إلى عزّهم ومجدهم بعد أن أصبحوا أذلاء تكالب عليهم الأمم كما تكالب الأكلة على قصتها .

ولما لم يجد أعداء الإسلام وسيلة مثمرة في إبعاد المسلمين عن محور هذه الثورة حاولوا هدمها بالتشكيك في معتقدات أهلها بعد أن فشلوا فشلاً ذريعاً في تحقيق ذلك الهدم من خلال هيليكوبتراتهم التي وكل الله بها رمال الصحراء فأفسدتها وشتّت شملهم ، ومن خلال حربهم التي شنواها بواسطة أجير مخلص لهم ألبسوه فيها ثياب القومية فلم يجِنْ إلا الخيبة والعار من دعوته المتناثة إلى قوميته ؛ وقد قال الشيخ المجاهد عبد الحميد كشك - في سياق ردّه على مقوله ذلك المجرم الأجير: بأنَّ أهل إيران ما هم إلا فرس لا علم لهم بالإسلام ولا بالقرآن الذي نزل في العرب ولغتهم فهم بذلك الأعلم به دون غيرهم من العجم - : بأنَّ أهل الشيعة في إيران مسلمون موحدون ، وقد حسن إسلامهم منذ أن دخلوا الإسلام في زمان الخليفة عمر^(٢٧٩) .

وقد بشرَّ نبيُّ الإسلام (ص) منذ أربعة عشر قرناً هؤلاء القوم الذين تناولوا الإسلام وحملوه في طليعة هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة بالحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه :

عَنْ ثُورِ ، عَنْ أَبِي الغَيْثِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنُّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَانْزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ - « وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَا يَلْحَقُوْا بِهِمْ » - قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَلَمْ يَرْاجِعْهُ حَتَّى سُأَلَ ثَلَاثًا وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الْثَّرِيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ أُوْرَجَلُ مِنْ هُؤُلَاءِ^(٢٨٠) .

وقد أشار الله تعالى في كتابه العزيز إلى هؤلاء القوم بقوله : « هَا أَنْتَ

(٢٧٩) عبد الحميد كشك - شريط رقم ٣٨٥ .

(٢٨٠) صحيح البخاري ص ٣٩٠ ج ٦ كتاب التفسير .

تدعون لتنفقوا في سبيل الله فممنكم من يدخل ومن يدخل فإنما يدخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم^(٢٨١) ، فعن أبي هريرة أن رسول الله (ص) تلا هذه الآية « وإن تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ، قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين إن تولينا أستبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ فضرب على فخذ سلمان ثم قال : « هذا وقومه ، ولو كان الدين عند الشريعة لتناوله رجال من الفرس »^(٢٨٢) .

ولكن أعداء الإسلام لم يأسوا بعد فشلهم في ساحات الوعي ، فلا يزال لديهم جبهات أخرى يقاتلون فيها ، فها هي الوهابية تقوم بنفس المهمة ، ولكن هذه المرة بسلاح مختلف ، فقد ألبسو جنودهم ثياباً إسلامية لعلها تكون أكثر بريقاً من ثياب القومية التي تحولت إلى رماد على بوابتهم الشرقية .

لقد أنطوت الحيلة الجديدة للأسف على بعض البسطاء ، ووقع الكثير من شبان الإسلام في شباك هذه الفتنة التي لا يعلمون أين ستوردهم « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » ، وقد حذر النبي الإسلام (ص) أشد التحذير من الواقع في سعير هذه الفتنة - لو كانوا من العالمين بستنته - في كثير من الأحاديث التي بين فيها حتى مسبباتها كما في الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه :

عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ : ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ : اللَّهُمَّ بارِكْ لَنَا فِي شَأْنِنَا ، اللَّهُمَّ بارِكْ لَنَا فِي يَمَنَنَا . قَالُوا : وَفِي نَجْدِنَا ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ بارِكْ لَنَا فِي شَأْنِنَا ، اللَّهُمَّ بارِكْ لَنَا فِي يَمَنَنَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَفِي نَجْدِنَا ؟ فَأَظْنَهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ : هُنَاكَ الرِّزْلَازُ وَالْفِتْنَ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنَ

(٢٨١) محمد : ٣٨ .

(٢٨٢) تفسير ابن كثير والقرطبي والطبراني والدر المثور .

والطائفة المقصودة في الحديث السابق لا نرى لها تطبيقاً إلا في الطائفة الوهابية ، التي ولد مؤسسها محمد بن عبد الوهاب في إحدى قرى « نجد » تسمى « العيينة » .

هذه الطائفة التي أصبحت بمثابة الغدة السرطانية في جسم الأمة الإسلامية ، وما فتئت تصعد من جهودها الهدامة في وجه عودة الإسلام المباركة ، ما هي في الحقيقة إلا فتنه يقف وراءها الاستعمار البغيض - كما يدل على ذلك تاريخها - وتهدف إلى :

- ١ - الحط من مكانة وأهمية الشخصيات الدينية منعاً من التفاف الناس حولها ،
و حول آثارها ومبادئها .
- ٢ - إبراز الإسلام في صورة الدين الجامد الذي لا يقبل التطبيق في
العصور المختلفة .
- ٣ - إيجاد الفرق والاختلاف في صفوف المسلمين للحيلولة دون وحدتهم
وتآخيهم .

وقد أتخذت من « التوحيد » واجهة لمقاصدها الخبيثة في رمي غيرها من الطوائف بالشرك ، زاعمين أن التوسل بالأنباء والصالحين سبب للشرك ، معارضين بذلك ما توأرت عن رسول الله (ص) بجواز ذلك ، وحسبنا ما أخرجه البخاري في صحاحه من توسل عمر بالعباس :

عَنْ أَنَسِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا أَقْحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنِبِيِّنَا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نِبِيِّنَا فَاتَسِقْنَا قَالَ : فَيُسْقَوْنَ (٢٨٤) .

(٢٨٣) صحيح البخاري ص ١٦٦ ج ٩ كتاب الفتن .

(٢٨٤) صحيح البخاري ص ٦٦ ج ٢ كتاب الإستسقاء .

بل ويكتفي في الرد على الوهابية قوله (ص) : «سيماهم التحليق»^(٢٨٥)
كما روى ذلك البخاري في صحيحه ، فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم
كما عُرف ذلك من تاريخهم^(٢٨٦) .

وفي حديث آخر ، بين النبي (ص) توجيهه النبوى للناس في ما يجب
عمله عنده حدوث مثل تلك الفتن :

يَقُولُ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْخَيْرِ ، وَكَنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةً أَنْ يُذْرِكَنِي ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ . فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَفِيهِ دَخْنٌ ، قُلْتُ : وَمَا دَخْنَهُ ؟ قَالَ : قَوْمٌ يَهُدُونَ بِغَيْرِ هَذِئِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتَتَكَبَّرُ . قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ . دُعَاءً عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مِنْ أَجَابِهِمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا . قَالَ : هُمْ مِنْ جَلْدِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِالْسِتَّنَا . قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أُذْرِكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : تَلَزُّمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمامًا ، قَالَ : فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفَرَقَ كُلُّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضُّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُذْرِكَكَ الْمَوْتُ أَنْتَ عَلَى ذَلِكَ^(٢٨٧) .

والحديث أعلاه يبيّن بكل وضوح وجوب الالتزام بجماعة المسلمين وإمامهم ، وأنه في حالة التباس الأمر وغموضه وعدم إمكانية معرفة حقيقته ، فإن التوجيه النبوى يأمرنا بما معناه «السکوت» ، ويبين الحديث أيضاً أن « الدعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها » ليسوا من العجم ، وإنما من جلدة العرب ، وهذا ما يؤكّد ما جاء في الحديث الأسبق (عن نجد) .

(٢٨٥) صحيح البخاري ص ٤٨٩ ج ٩ كتاب التوحيد .

(٢٨٦) فتنة الوهابية ص ٧٧ ، ط استنبول ١٩٧٨ م .

(٢٨٧) صحيح البخاري ص ١٥٩ ج ٩ كتاب الفتن .

وهذا الأمر لا بد أن يجعل المسلم في أشد حالات الحيرة والحدر بأخذة للمسار الذي يؤدي به بأمان إلى سنته المصطفى (ص) ، وخصوصاً مع وجود مسارات كثيرة عددها ثلاثة وسبعون كل منها يدعى نقله الصحيح للسنة النبوية ، وقد أخبرنا من لا ينطق عن الهوى أنَّ واحداً منها فقط هو الصحيح ، وما دونها فهو دون ذلك .

وهكذا حصل الخلاف والاختلاف ، حتى بات المسلم حائراً ومستغرباً لكل ما يجري حوله من هذه الضجة الكبرى والفتنة العظمى ، وأنا لا أرى غرابة لهذه الحيرة وهذا الإستغراب ، فقد أشار نبي الإسلام إلى هذا الأمر بقوله : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ... » .

الليست الغربة كلها في محاربة المسلمين لمن كان مسلماً حقاً؟ أليست الغربة والغرابة كلها أن يقف الوعاظ بعما نهم على المنابر ويصبحوا بأعلى أصواتهم مكفرین منْ كان مسلماً حقاً؟

بلى يا رسول الله ... ، فقد صدقت ، وما هم المسلمون يحاربون ويُكفرون شيعتك الذين تمسكوا بستنك عن طريق أظهر الخلق بعده ، إنهم يحاربون هذا العائد وقد أمسى أهله غرباء على جمهور المسلمين وقد ضللوا عن طريق من أنذرت بأنه سيكون مطلاعاً لقرن الشيطان والزلزال والفتنة .

وقد قلت بأنه (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) مصداقاً لقوله تعالى ﴿لَقَدْ جَنَّتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكُنْ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (٢٨٨) .

وقد بشرت بمهدى آل محمد ، سبطك ووصيّك الإمام الثاني عشر ، الذي سيملأ الدنيا بالقسط والعدل بعد أن ملئت بالظلم والجور ، وأمرتنا بالسعى إليه ولو حبوا على الثلج بقولك (إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي أثرةً وشدةً ونطريداً في البلاد ،

(٢٨٨) الزخرف : ٧٨

حتى يأتي قوم من ها هنا ، وأشار بيده نحو المشرق - أصحاب رأيات سود
فِيْسَأْلُونَ الْحَقَّ فَلَا يُعْطُوْنَهُ فَيُقَاتِلُوْنَ فِيْنَصَرَوْنَ وَيُعْطَوْنَ مَا شَاؤُوا فَلَا
يَقْبِلُوْنَهُ ، حَتَّى يَدْفَعُوْهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَيَمْلَأُهَا عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ
ظَلْمًا ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ فَلِيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ (٢٨٩) .

وآخر دعوانا أن يجعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ،
والحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
الطاهرين .

(٢٨٩) تاريخ الطبرى

الفهرس

٥	المؤلف في سطور
٧	المقدمة
١٠	مقططفات من مقالة الدكتور الرميحي
١١	حسن الظن بالعلماء
١٥	تمهيد
١٥	من هم الشيعة الاثنا عشرية
	الفصل الاول :
١٩	الإمامية
٢٠	أولاً : الأدلة في إثبات إمامية أهل البيت (ع)
٢٢	حديث أم سلمه برواية البخاري
٢٥	وقفة مع آية التطهير
٢٧	ثانياً : الأدلة في إثبات عدد أئمة أهل البيت (ع)
٢٩	ثالثاً : الأدلة في إثبات إستخلاف علي (ع)
٣٥	مخالفة جمهور المسلمين لنصوص الإمامية
٣٦	أولاً : منع بعض الصحابة من كتابته (ص) للوصية
٣٩	ثانياً : تخلف بعض الصحابة عن بعثة أسامة
٤٠	ثالثاً : أحداث السقيفة وبيعة أبي بكر
٤٤	غضب فاطمة (ع)
٤٧	هل المح الرسول (ص) باستخلاف أبي بكر
٤٨	رابعاً : استخلاف عمر وبيعته
٥٠	خامساً : الشوري وبيعة عثمان

٥٣ مقتل عثمان
٥٦ بيعة الإمام علي (ع)
٥٦ سادساً: موقعة الجمل وخروج عائشة
٥٨ اسطورة عبدالله بن سبا
٦٠ سلسلة رواة الاسطورة السبئية
٦٠ سابعاً: موقعة صفين وتمرد معاوية
٦٤ ثامناً: إستشهاد الإمام علي (ع)
٦٤ الإمام الحسن (ع) وصلاح معاوية
٦٦ تاسعاً: إستشهاد الإمام الحسن (ع)
٦٦ عاشراً: ثورة كربلاء وإستشهاد الإمام الحسين (ع)
٧٠ الشورى بين المبدأ والتطبيق
٧١ ١ - خلافة أبي بكر
٧٢ ٢ - خلافة عمر
٧٢ ٣ - خلافة عثمان
٧٢ ٤ - خلافة معاوية
٧٢ ٥ - خلافة يزيد بن معاوية
٧٥ خاتمة بحث الإمام الفصل الثاني
٧٧ عدالة الصحابة الفصل الثالث
٨٩ الشيعة والقرآن الكريم

الفصل الرابع

٩٥	الشيعة والسنّة النبوية المطهرة
٩٥	موقف الشيعة من السنّة النبوية
٩٧	درء الشبهات حول عصمة النبي (ص)
١٠٥	أبو هريرة وكثرة روایته للحادیث
١١٣	وقفة مع البخاري في صحيحه
	الفصل الخامس
١١٩	الزواج المؤقت
١٢٦	متعة الحج

الفصل السادس

١٢٩	التقية
١٣١	الخاتمة
٣٩١	الفهرس

المؤلف:

باحث عن الحقيقة ، جاهد في سبيل

الوصول إليها جهاداً مريراً حتى هدأه

الله إلى سوء السبيل «والذين

جاهدوا فينا لنهيئنهم سبلنا» .

ولد في قرية دير الغصون في الضفة

الغربية بفلسطين المحتلة ، أنهى

دراسته الثانوية ثم سافر إلى الأردن

فحصل على دبلوم في المهن الهندسية ،

ثم سافر إلى الفلبين فحصل على

البكالوريوس في الهندسة المدنية ثم

الماجستير في إدارة البناء

.Construction Management

وهو الآن حاصل على شهادة الدكتوراه

في الادارة الحكومية من خلال بحثة

.Islamic Public Administration.

هذا الكتاب :

حقيقة الشيعة الائتية عشرية

بحث حول الشيعة الائتية عشرية

من كتب صحاح أهل السنة